شرح وتحليل قصيدة (بانت سعاد) بيان أثرها في اللغة العربية

Explanation and analysis of the poem (Bant Souad) a statement of its impact on the Arabic language

إعداد

د. حسّان بشير حسّان حامد

Dr. Hassan Bashir Hassan Hamid

أستاذ الأدب والنقد المشارك، قسم اللغة العربية، كلية اللغات، جامعة بحري، السودان

Doi: 10.21608/mdad.2021.199630

الاستلام: ٢٠٢١/٧/١٢م **القبول : ٢٠٢١/٧/٢٥م**

حامد ، حسّان بشير حسّان (٢٠٢١). شرح وتحليل قصيدة (بانت سعاد) بيان أثرها في اللغة العربية ، ***المجلة العربية مـــداد*** ، المؤسسة العربية للتربية والعلوم والآداب، مصر، ٥ (١٥)، ص ص ٣٥ – ٦٨.

شرح وتحليل قصيدة (بانت سعاد) بيان أثرها في اللغة العربية

المستخلص :

تهدف هذه الدراسة إلى تقديم شرح أدبي وافٍ لقصيدة بانت سعاد، وتحليلها تحليلاً فنياً يشمل مختلف الجوانب اللغوية والفكرية والخصائص الفنية، مع بيان أثرها في اللغة العربية. اتبعت الدراسة المنهج الفني المعتمد في تحليل النصوص، من ذكر لمناسبة القصيدة، وتعريف بصاحبها، وشرح لغوي لمفرداتها، وتحليل فكري وفني لأبياتها وأقسامها. وقد توصلت الدراسة إلى عدد من النتائج، أهمها: أن النفس الجاهلي وروح التقليد يطغى على القصيدة على الرغم من إلقائها بعد فتح مكة في حضرة النبي صلى الله عليه وسلم وفي مسجده؛ وأن عاطفة الشاعر الدينية في هذه القصيدة لم تكن بالصورة المطلوبة. وأن الدراسة أظهرت عناية الشاعر بالتنسيق ووحدة القصيدة وتسلسلها الفكري. كما أنها بيّنت قدرته الفنية في استخدام النواحي البيانية في شعره استخداماً رائعاً.

الكلمات المفتاحية: الشعر الإسلامي، المديح النبوي، كعب بن زهير. البردة.

Abstract:

This study aims to provide full literary explanation of Bant Souad's poem, and analyzes it in an artistic way that includes various linguistic and intellectual aspects, as well as technical characteristics, with an indication of its impact on the Arabic language. This study followed the technical approach adopted in analyzing the texts, including a mention of the reasons for the poem, a definition of its author, a linguistic explanation of its vocabulary, and an intellective and artistic analysis of its verses and sections. The study reached a number of results, the most important of which are: That the pre-Islamic character and the spirit of tradition dominate the poem despite its recitation after the conquest of Mecca in the presence of the Prophet, and in his mosque; and that the poet's religious emotion in this poem was not required. The study showed the poet's care for coordination, unity of the poem and its intellectual hierarchy. It also showed his artistic ability to use the rhetoric aspects in his poetry to great use.

Key words:

Islamic poetry, Prophet Panegyric, Kaab bin Zuhair. Burda.

المقدمة:

قصيدة (بانت سعاد) قصيدة مباركة؛ لأنها قيلت بين يدي المبارك سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبسبب هذه البركة شرفت القصيدة، ومجدت باستحسان الرسول لها، وبخلع بردته الشريفة المباركة على شاعرها، وبسببها نال كعب الأمان والعفو. ومنذ ذلك التاريخ اكتسبت القصيدة هذه المكانة الرفيعة العظيمة، وتناقلتها الأجيال - خاصة في الأوساط الأدبية والدينية-بالإجلال والإكبار جيلاً بعد جيل، فخلدت بإقبالهم العظيم عليها، ونالت من الاهتمام ما لم تنله قصيدة أخرى، فشرحها وخمسها وشطرها وعارضها خلق كثير. ومن هنا يظهر أثرها الكبير في اللغة العربية عبر هذه العصور المتعاقبة.

أسباب اختيار هذه القصيدة:

فقد كان الاختيار لهذه القصيدة تبركاً بمن قيلت بين يديه، وتوسلاً بها إليه، ورغبة في السعادة يوم الهول العظيم، كما أسعدت هذه القصيدة وأنجت صاحبها من الموت المحقق، بعد أن ضاقت الأرض عليه بما رحبت.

أهمية الدراسة:

تنبع أهمية هذه الدراسة من اتصالها بسيد الأولين والآخرين، وبصحابته الكرام الميامين، ومن استحسان الرسول لها وطربه بها، وطلبه من أصحابه الاستماع لها، وقبول العذر من صاحبها، وتأمينه والعفو عنه.

كما تنبع أهميتها أيضاً من اتصالها بأحد الشعراء الفحول، سليل الشعراء، كعب بن زهير بن أبي سُلمى، الشاعر صاحب الكلمة الرصينة الجزلة، والصحابي الجليل.

كما تنبع أهميتها كذلك في أنها شرحت هذه القصيدة وبيّنت خصائصها الفنية، على ضوء دراسة تحليل النصوص الأدبية، وكشفت عن أثرها الكبير في اللغة العربية في مختلف العصور الأدبية.

أهداف دراسة هذه القصيدة:

تهدف هذه الدراسة إلى تقديم شرح أدبي وافٍ لقصيدة بانت سعاد، وتحليلها تحليلاً فنياً يشمل مختلف الجوانب اللغوية والفكرية والخصائص الفنية، مع بيان أثرها في اللغة العربية.

منهج الدراسة:

اتبعت هذه الدراسة المنهج الفني المعتمد في تحليل النصوص، من ذكر لمناسبة القصيدة، والتعريف بصاحبها، ثم الشرح اللغوي للمفردات، ثم التحليل الفكري والفني.

الدراسات السابقة:

تعرضت هذه القصيدة لشروحات متعددة، من الصعوبة بمكان إحصاؤها، وقد ركزت هذه الدراسات على الشرح اللغوي للمفردات واستخلاص مسائل اللغة والنحو والصرف والبلاغة. وقد جاءت هذه الشروح مابين الطول المفرط والاقتضاب الشديد.

بانت سعاد

كعب بن زهير:

هو كعب بن زهير بن أبي سُلمى بضم السين، واسم أبي سلمى ربيعة بن رياح، بكسر الراء، أحد بني مزينة، كان من فحول الشعراء هو وأبوه، وكان عمر بن الخطاب - رضى الله عنه- لا يقدم على أبيه أحداً(ابن هشام، ١٩٨٤، ٣٠)، ولما ظهر الإسلام هجا النبي -صلى الله عليه وسلم- فهدر النبي دمه، فجاءه كعب مستأمناً تائباً، وقد أسلم، وأنشده هذه القصيدة. فعفا عنه النبي -صلى الله عليه وسلم- وخلع عليه بردته.

وقد وصفه ابن قتيبة بقوله: "كان فحلاً مجيداً، وكان يحالفه أبداً إقتار وسوء حال"(ابن قتيبة، ١٩٨٠، ج١، ٨٩) وروى ابن حجر عن خلف الأحمر قوله: "لولا قصائد لزهير ما قدمته على ابنه"(ابن حجر، ١٩٩٢، ج٥، ٥٩٥) وهو من المعرقين في الشعر، وقد ذكر ابن رشيق في باب بيوتات الشعر والمعرقين فيه - بيته في مقدمة هذه البيوتات بقوله: "منها في الجاهلية بيت أبي سلمى: كان شاعراً واسمه ربيعة، وابنه زهير كان شاعراً ، وله خؤولة في الشعر: خاله بشامة بن الغدير، وكان كعب وبجير ابنا زهير شاعرين، وجماعة من أبنائهم"(القيرواني، ١٩٨١، ج٢، ٣٠٦). وقد وضعه محمد بن سلام الجمحي في الطبقة الثانية في كتابه الطبقات(الجمحي، ١٩٨٠، ج١، ٩٧). وهو كأبيه يمتاز شعره بالحكمة وضرب الأمثال، وقد حفل شعره بجميع الأغراض الشعرية المعروفة في عصره.

وقصيدة بانت سعاد لم تكن الوحيدة في مجال مديحه الديني، فقد مدح الأنصار وعلياً بن أبي طالب وأبنائه رضوان الله عليهم جميعاً، وله في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم قصائد أخرى غير هذه القصيدة، أشهرها قصيدته الميمية التي تعتبر من أهم بل أحسن ما قالته العرب في مدحه صلى الله عليه وسلم، وقد جاء فيها قوله(القيرواني، ١٩٨١، ج٢، ١٣٦):

تحمله الناقة الأدماء معتجراً ... بالبرد كالبدر جلى ليلة الظلم
وفي عطافيه أو أثناء بردته ... ما يعلم الله من دين ومن كرم

خبر إسلامه ومناسبة القصيدة:

وكان من خبر قول كعب هذه القصيدة، وإسلامه فيما رواه ابن هشام(دون تاريخ، ج٣، ١٨٠): إنه لما قدم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من منصرفه عن الطائف كتب بجير بن زهير بن أبي سلمى إلى أخيه كعب بن زهير يخبره أن رسول الله

-صلى الله عليه وسلم- قتل رجالاً بمكة، ممن كان يهجوه ويؤذيه، وأن من بقي من شعراء قريش كابن الزبعرى وهبيرة بن أبي وهب، قد هربوا في كل وجه، فإن كانت لك في نفسك حاجة، فطر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإنه لا يقتل أحد جاءه تائباً، وإن أنت لم تفعل فانج إلى نجائك من الأرض، وكان كعب بن زهير قد قال:

أَلا أَبْلِغَا عَنِّي بُجَيْراً رِسَالَةً فَهَلْ لَكَ فِيمَا قُلْتُ وَيْحُكَ هَلْ لَكَا
فَبَيِّنْ لَنَا إِنْ كُنْتَ لَسْتَ بِفَاعِلٍ عَلَى أَيِّ شَيءٍ غَيْرِ ذَلِكَ دَلَّكَا
عَلَى خُلُقٍ لَمْ أُلْفِ يَوْماً أَبَاً لَهُ عَلَيْهِ ، وَمَا تُلْفِي عَلَيْهِ أَبَاً لَكَا
فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَفْعَلْ فَلَسْتُ بِآسِفٍ وَلا قَائِلٍ إِمَّا عَثَرْتَ: لَعَاً لَكَا
سَقَاكَ بِهَا الْمَأْمُونُ كَأْساً رَوِيَّةً فَأَنْهَلَكَ الْمَأْمُونُ مِنْهَا وَعَلَّكَا

وأورد ابن هشام رواية أخرى لهذه الأبيات، بقوله: وأنشدني بعض أهل العلم بالشعر وحديثه(ابن هشام، دون تاريخ، ج٤، ١٨١):

مَنْ مُبْلِغٌ عَنِّي بُجَيْراً رِسَالَةً فَهَلْ لَكَ فِيمَا قُلْتُ بِالْخَيْفِ هَلْ لَكَا
شَرِبْتَ مَعَ الْمَأْمُونِ كَأْساً رَوِيَّةً فَأَنْهَلَكَ الْمَأْمُونُ مِنْهَا وَعَلَّكَا
وَخَالَفْتَ أَسْبَابَ الْهُدَى وُاتَّبَعْتَهُ عَلَى أَيِّ شَيءٍ وَيْبَ غَيْرِكَ دَلَّكَا
عَلَى خُلُقٍ لَمْ تُلْفِ أُمّاً وَلا أَبَاً عَلَيْهِ، وَلَمْ تُدْرِكْ عَلَيْهِ أَخاً لَكَا
فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَفْعَلْ فَلَسْتُ بِآسِفٍ وَلا قَائِلٍ إِمَّا عَثَرْتَ: لَعَاً لَكَا

قال ابن إسحق(٢٠٠٤، ج٢، ٥٨٩): "وبعث بها إلى بجير، فلما أتت بجيراً كره أن يكتمها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فأنشده إياها، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لما سمع "سقاك بها المأمون": صدق وإنه لكذوب، أنا المأمون. ولما سمع "على خلق لم تلف أماً ولا أباً عليه" قال: أجل، لم يلف عليه أباه ولا أمه" ثم قال بجير لكعب(ابن إسحاق، ٢٠٠٤، ج٢، ٥٩٠):

مَنْ مُبْلِغٌ كَعْبَاً فَهَلْ لَكَ فِي الَّتِي تَلُومُ عَلَيْهَا بَاطِلاً وَهْيَ أَحْزَمُ
إِلَى اللهِ - لا الْعُزَّى وَلا الْلاَّتِ - وَحْدَهُ فَتَنْجُو إِذَا كَانَ النَّجَاءُ وَتَسْلَمُ
لَدَى يَوْمٍ لا يَنْجُو وَلَيْسَ بِمُفْلِتٍ مِنَ النَّاسِ إِلاَّ طَاهِرَ الْقَلْبِ مُسْلِمُ
فَدَيْنُ زُهَيْرٍ وَلا شَيءٍ دِينُهُ وَدِينُ أَبِي سُلْمَى عَلَيَّ مُحَرَّمُ

قال ابن إسحاق: وإنما يقول كعب: "المأمون"(ابن إسحاق، ٢٠٠٤، ج٢، ٥٩٠؛ وابن هشام، دون تاريخ، ج٤، ١٨١) ، ويقال: "المأمور" في قول ابن هشام، لقول قريش الذي كانت تقوله لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال ابن إسحاق: "فلما بلغ كعباً الكتاب ضاقت به الأرض، وأشفق على نفسه، وأرجف به من كان في حاضره من عدوه، فقالوا هو مقتول، فلما لم يجد من شيء بداً، قال قصيدته التي يمدح فيها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وذكر فيها خوفه وإرجاف الوشاة به من عدوه، ثم خرج حتى قدم المدينة، فنزل على رجل كانت بينه وبينه معرفة، من جهينة، كما ذُكر لي، فغدا به إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حين صلى الصبح، فصلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ ثم أشار له إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقم إليه واستأمنه. فذكر لي أنه قام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى جلس إليه، فوضع يده في يده، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يعرفه، فقال: يا رسول الله؛ إنّ كعب بن زهير قد جاء ليستأمن منك تائباً مسلماً، فهل أنت قابل منه إن أنا جئتك به؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: نعم، قال: أنا يا رسول الله كعب بن زهير"(ابن إسحاق، ٢٠٠٤، ج٢، ٥٩٠).

وعن سبب غضب كعب على الأنصار يقول ابن إسحاق: "فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة: أنه وثب عليه رجل من الأنصار، فقال: يا رسول دعني وعدو الله أضرب عنقه؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: دعه عنك، فإنه قد جاء تائباً، نازعاً "عمّا كان عليه". قال فغضب كعب على هذا الحي من الأنصار، لِمَا صنع به صاحبهم، وذلك أنه لم يتكلم فيه رجل من المهاجرين إلاّ بخير، فقال قصيدته"(ابن إسحاق، ٢٠٠٤، ج٢، ٥٩٠).

ولهذا -والله أعلم- مدح المهاجرين وعرض بالأنصار في قوله: "إذا عرد السود التنابيل" وفي هذا روى ابن إسحاق أن عاصم بن عمر بن قتادة قال: (فلما قال كعب: "إذا عرّد السود التنابيل" إنما يريدنا معشر الأنصار، لما كان صاحبنا صنع به ما صنع، وخص المهاجرين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بمدحته)(ابن إسحاق، ٢٠٠٤، ج٢، ٥٩٤)، وروى ابن هشام أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له بعد أن أتم إنشاد القصيدة: "لولا ذكرت الأنصار بخير، فإنهم لذلك أهل، فقال كعب في مدحهم أبيات"(ابن هشام، دون تاريخ، ج٤، ١٩٥) سنذكر جزءاً منها بعد قليل. وفي الشعر والشعراء(ابن قتيبة، ١٩٨٠،ج١، ٩٠) والأغاني(الأصفهاني، ١٩١٦، ج١٥، ١٤٤) أن المهاجرين قالوا: ما مدحنا من هجا الأنصار، وأنكروا عليه قوله، وعاتبوه على ذلك، فقال في مديح الأنصار:

من سرّه كرم الحياة فلا يزل ... في منقب من صالحي الأنصار
ورثوا المكارم كابراً عن كابر ... إنّ الخيار هم بنو الأخيار
المكرهين السمهريّ بأذرع ... كسوالف الهندي غير قصار
والناظرين بأعين محمرة ... كالجمر غير كليلة الأبصار
والبائعين نفوسهم لنبيهم ... للموت يوم تعانق وكرار

ويقال أنه لما أتم إنشاد قصيدته "بانت سعاد" رمى إليه الرسول صلى الله عليه وسلم ببردة كانت عليه، فلما كان زمن معاوية رضي الله عنه كتب إلى كعب: بعنا بردة رسول الله صلى الله عليه وسلم بعشرة ألف درهم فأبى عليه، فلما مات كعب بعث معاوية إلى أولاده بعشرين ألف درهم وأخذ منهم البردة التى هي عند الخلفاء آل العباس وهكذا قاله خلائق آخرون(السيوطي، ١٩٥٢، ٢٣). ومن هنا جاءت تسمية هذه القصيدة بالبردة، واستحقت هذا الشرف العظيم.

نص القصيدة:

أبيات كعب بن زهير كما وردت في كتاب (سيرة النبي صلى الله عليه وسلم) (ابن هشام، دون تاريخ، ج٤، ١٨٤- ١٩٢)، وهي تسعة وخمسون بيتاً من بحر البسيط، ويتفاوت عدد أبيات هذه القصيدة حيث يصل في بعض المراجع إلى سبعة وخمسين أو ثمانية وخمسين بيتاً، وكذلك يختلف ترتيب هذه الأبيات من مرجع لآخر، وقد آثرنا هذه الرواية على غيرها؛ لأنها الأوفر عدداً، والأفضل ترتيباً.

١ . بَانَتْ سُعَادُ فَقَلْبِي الْيَوْمَ مَتْبُولُ مُتَيَّمٌ إِثْرَهَا لَمْ يُفْدَ مَكْبُولُ
٢ .وَمَا سُعَادُ غَدَاةَ الْبَيْنِ إِذْ رَحَلُوا إِلاّ أَغَنُّ غَضِيضُ الطَّرْفِ مَكْحُولُ
٣ .هَيْفَاءُ مُقْبِلَةً ، عَجْزَاءُ مُدْبِرَةً لا يُشْتَكَى قِصَرٌ مِنْهَا وَلا طُولُ
٤ .تَجْلُوا عَوَارِضَ ذِي ظَلْمٍ إِذَا ابْتَسَمَتْ كَأَنَّهُ مُنْهَلٌ بِالرَّاحِ مَعْلُولُ
٥ .شُجَّتْ بِذِي شَبَمٍ مِنْ مَاءِ مَحْنِيَةٍ صَافٍ بِأَبْطَحَ أَضْحَى وَهْوَ مَشْمُولُ
٦ .تَنْفِي الرِّيَاحُ الْقَذَى عَنْهُ وَأَفْرَطَهُ مِنْ صَوْبِ غَادِيَةٍ بِيضٌ يَعَالِيلُ
٧ .فَيَالَهَا خُلَّةً لَوْ أَنَّهَا صَدَقَتْ بِوَعْدِهَا أَوْ لَوَ أَنَّ النُّصْحَ مَقْبُولُ
٨ .لَكِنَّهَا خُلَّةٌ قَدْ سِيطَ مِنْ دَمِهَا فَجْعٌ وَوَلْعٌ وَإِخْلافٌ وَتَبْدِيلُ
٩ .فَمَا تَدُومُ عَلَى حَالٍ تَكُونُ بِهَا كَمَا تَلَوَّنُ فِي أَثْوَابِهَا الْغُولُ
١٠ .وَمَا تَمَسَّكُ بِالْعَهْدِ الَّذِي زَعَمَتْ إِلاّ كَمَا يُمْسِكُ الْمَاءَ الْغَرَابِيلُ
١١ .فَلا يَغُرَّنْكَ مَا مَنَّتْ وَمَا وَعَدَتْ إِنَّ الأَمَانِيَّ وَالأَحْلامَ تَضْلِيلُ
١٢ .كَانَتْ مَوَاعِيدُ عُرْقُوبٍ لَهَا مَثَلاً وَمَا مَوَاعِيدُهَا إِلاّ الأَبَاطِيلُ
١٣ .أَرْجُو وَآمُلُ أَنْ تَدْنُو مَوَدَّتُهَا وَمَا إِخَالُ لَدَيْنَا مِنْكِ تَنْوِيلُ
١٤ .أَمْسَتْ سُعَادُ بِأَرْضٍ لا يُبَلِّغُهَا إِلاّ الْعِتَاقُ النَّجِيبَاتُ الْمَرَاسِيلُ
١٥ .وَلَنْ يُبَلِّغُهَا إِلاّ عُذَافِرَةٌ لَهَا عَلَى الأَيْنِ إِرْقَالٌ وَتَبْغِيلُ
١٦ .مِنْ كُلِّ نَضَّاخَةِ الْذِّفْرَى إِذَا عَرِقَتْ عُرْضَتُهَا طَامِسُ الأَعْلامِ مَجْهُولُ
١٧ .تَرْمِي النِّجَادَ بِعَيْنَيْ مُفْرَدٍ لَهِقٍ إِذَا تَوَقَّدَتِ الْحِزَّانُ وَالْمِيلُ
١٨ .ضَخْمٌ مُقَلَّدُهَا ، فَعْمٌ مُقَيَّدُهَا فِي خَلْقِهَا عَنْ بَنَاتِ الْفَحْلِ تَفْضِيلُ

١٩ .غَلْبَـاءُ وَجْنَـاءُ عُلْكُـومٌ مُـذَكَّرَةٌ فِـي دَفِّهَـا سِـعَةٌ قُـدَّامِهَا مِيـلُ
٢٠ .وَجِلْـدُهَا مِـنْ أُطُـومٍ مَـا يُؤَيِّسُـهُ طِلْـحٌ بِضَـاحِيَةِ الْمَتْنَـينِ مَهْـزُولُ
٢١ .حَـرْفٌ أَخُوهَـا أَبُوهَـا مِـنْ مُهَجَّنَـةٍ عَمُّهَـا خَالُهَـا ، قَـوْدَاءُ شِـمْلِيلُ
٢٢ .يَمْشِـي الْقُـرادُ عَلَيْهَـا ثُـمَّ يُزْلِقُـهُ مِنْهَـا لَبَـانٌ وَأَقْـرَابٌ زَهَالِيـلُ
٢٣ .عَيْرَانَـةٌ قُذِفَتْ بِـالنَّحْضِ عَنْ عُرُضٍ مِرْفَقُهَـا عَـنْ نَبَـاتِ الـزَّوْرِ مَفْتُـولُ
٢٤ .كَأَنَّمَـا فَـاتَ عَيْنَيْهَـا وَمَـذْبَحَهَا مِـنْ خَطْمِهَـا وَمِـنَ اللَّحْيَـيْنِ بِرْطِيـلُ
٢٥ .تَمُـرُّ مِثْـلَ عَسِـيبِ النَّخْـلِ ذَا خُصَـلٍ فِـي غَـارِزٍ لَـمْ تُخَوِّنَـهُ الأَحَالِيـلُ
٢٦ .قَنْـوَاءُ فِـي حُرَّتَيْهَـا لِلْبَصِـيرِ بِهَـا عِتْـقٌ مُبِـينٌ وَفِـي الْخَـدَّيْنِ تَسْـهِيلُ
٢٧ .تَخْـدِي عَلَـى يَسَـرَاتٍ وَهْـيَ لاحِقَـةٌ ذَوَابِـلٍ مَسُّـهُنَّ الأَرْضَ تَحْلِيـلُ
٢٨ .سُمْرُ الْعِجَايَاتِ يَتْرُكْنَ الْحَصَى زِيَمًا لَـمْ يَقِهِـنَ رُءُوسَ الأُكْـمِ تَنْعِيـلُ
٢٩ .كَـأَنَّ أَوْبَ ذِرَاعَيْهَـا وَقَـدْ عَرِقَـتْ وَقَـدْ تَلَفَّـعَ بِـالْقُورِ الْعَسَـاقِيلُ
٣٠ .يَوْمَـاً يَظَـلُّ بِـهِ الْحِرْبَـاءُ مُصْـطَخِداً كَـأَنَّ ضَـاحِيَهُ بِالشَّـمْسِ مَعْلُـولُ
٣١ .وَقَـالَ لِلْقَـومِ حَـادِيهِمْ وَقَـدْ جَعَلَـتْ وُرْقُ الْجَنَـادِبُ يَرْكُضْـنَ الْحَصَـا قِبِلُـوا
٣٢ .شَـدَّ النَّهَـارِ ذِرَاعَـا عَيْطَـلٍ نَصَـفٍ قَامَـتْ فَجَاوَبَهَـا نُكْـدٌ مَثَاكِيـلُ
٣٣ .نَوَاحَـةٌ رَخْـوَةُ الضَّـبْعَيْنِ لَـيْسَ لَهَـا لَمَّـا نَعَـى بَكْرَهَـا النَّـاعُونَ مَعْقُـولُ
٣٤ .تَفْـرِي اللَّبَـانَ بِكَفَّيْهَـا وَمَـدْرَعُهَا مُشَـقَّقٌ عَـنْ تَرَاقِيهَـا رَعَابِيـلُ
٣٥ .تَسْـعَى الْغُـوَاةُ جَانِبَيْهَـا وَقَـوْلُهُمُ : إِنَّـكَ يَـا بْـنَ أَبِـي سُـلْمَى لَمَقْتُـولُ
٣٦ .وَقَـالَ كُـلُّ صَـدِيقٍ كُنْـتُ آمُلُـهُ : لا أُلْهِيَنَّـكَ ، إِنِّـي عَنْـكَ مَشْـغُولُ
٣٧ .فَقُلْـتُ : خَلُّـوا سَـبِيلِي لا أَبَـا لَكُـمُ فَكُـلُّ مَـا قَـدَّرَ الـرَّحْمَنُ مَفْعُـولُ
٣٨ .كُـلُّ ابْـنِ أُنْثَـى وَإِنْ طَالَـتْ سَـلامَتُهُ يَوْمَـاً عَلَـى آلَـةٍ حَـدْبَاءَ مَحْمُـولُ
٣٩ .نُبِّئْـتُ أَنَّ رَسُـولَ اللهِ أَوْعَـدَنِي وَالْعَفْـوُ عِنْـدَ رَسُـولِ اللهِ مَـأْمُولُ
٤٠ .مَهْـلاً هَـدَاكَ الَّـذِي أَعْطَـاكَ نَافِلَـةَ الْـ ـقُرْآنِ فِيهَـا مَـوَاعِيظٌ وَتَفْصِـيلُ
٤١ .لا تَأْخُـذَنِّي بِـأَقْوَالِ الْوُشَـاةِ وَلَـمْ أُذْنِـبْ وَلَـوْ كَثُـرَتْ فِـيّ الأَقَاوِيـلُ
٤٢ .لَقَـدْ أَقُـومُ مَقَامَـاً لَـوْ يَقُـومُ بِـهِ أَرَى وَأَسْـمَعُ مَـا لَـوْ يَسْـمَعُ الْفِيـلُ
٤٣ .لَظَـلَّ يَرْعَـدُ، إِلاّ أَنْ يَكُـونَ لَـهُ مِـنَ الرَّسُـولِ بِـإِذْنِ اللهِ تَنْوِيـلُ
٤٤ .مَازِلْـتُ أَقْتَطِـعُ الْبَيْـدَاءَ مُـدَّرِعاً جُـنْحَ الظَّـلامِ وَثَـوْبُ اللَّيْـلِ مَسْـدُولُ
٤٥ .حَتَّـى وَضَـعْتُ يَمِينِـي مَـا أُنَازِعُـهُ فِـي كَـفِّ ذِي نَقَمَـاتٍ قِيلُـهُ الْقِيـلُ
٤٦ .فَلَهُـوَ أَخْـوَفُ عِنْـدِي إِذْ أُكَلِّمُـهُ وَقِيـلَ إِنَّـكَ مَنْسُـوبٌ وَمَسْـئُولُ
٤٧ .مِنْ ضَيْغَمٍ بِضَرَّاءِ الأَرْضِ مَخْدَرُهُ فِـي بَطْـنِ عَثَّـرَ غِيـلٌ دُونَـهُ غِيـلُ
٤٨ .يَغْـدُو فَـيَلْحَمُ ضِـرْغَامَيْنِ عَيْشِـهِما لَحْـمٌ مِـنَ النَّـاسِ مَعْفُـورٌ خَرَادِيـلُ
٤٩ .إِذَا يُسَـاوِرُ قِرْنَـاً لا يَحِـلُّ لَـهُ أَنْ يَتْـرُكَ الْقِـرْنَ إِلاَّ وَهْـوَ مَفْلُـولُ
٥٠ .مِنْـهُ تَظَـلُّ سِـبَاعُ الْجَـوِ نَـافِرَةٌ وَلا تَمْشِـي بِوَادِيـهِ الأَرَاجِيـلُ

٥١ .ولا يـــزال بواديـــه أخـــو ثقـــة مضـــرج البـــز والدرســـان مـــأكول
٥٢ .إنَّ الرَّسُـولَ لَنُـورٌ يُسْتَضَـاءُ بِـهِ مُهَنَّـدٌ مِـنْ سُـيُوفِ اللهِ مَسْـلُولُ
٥٣ .فِـي عُصْـبَةٍ مِـنْ قُـرَيْشٍ قَـالَ قَـائِلُهُمْ بِـبَطْنَ مَكَّـةَ لَمَّـا أَسْـلَمُوا زُولُـوا
٥٤ .زَالُـوا فَمَـا زَالَ أَنْكَـاسٌ ولا كُشُـفٌ عِنْـدَ اللِّقَـاءِ ولا مِيـلٌ مَعَازِيـلُ
٥٥ .شُـمُّ الْعَـرَانِينِ أَبْطَـالٌ لَبُوسُـهُمْ مِـنْ نَسْـجِ دَاوُدَ فِـي الْهَيْجَـا سَـرَابِيلُ
٥٦ .بِـيضٌ سَـوَابِغُ قَـدْ شُـكَّتْ لَهَـا حَلَـقٌ كَأَنَّهَـا حَلَـقُ الْقَفْعَـاءِ مَجْـدُولُ
٥٧ .لَيْسُـوا مَفَـارِيحَ إِنْ نَالَـتْ رِمَـاحُهُمُ قَوْمَـاً ، وَلَيْسُـوا مَجَازِيعَـاً إِذَا نِيلُـوا
٥٨ يَمْشُونَ مَشْيَ الْجِمَالِ الزُّهْرِيَعْصِمُهُمُ ضَـرْبٌ إِذَا عَـرَّدَ السُّـودُ التَّنَابِيـلُ
٥٩ .لا يَقَـعُ الطَّعْـنُ إِلاَّ فِـي نُحُـورِهُمُ وَمَـا لَهُـمْ عَـنْ حِيَـاضِ الْمَـوتِ تَهْلِيـلُ

الشرح اللغوي للمفردات:

استعنت في شرح هذه المفردات بابن هشام في كتابه "شرح قصيدة كعب بن زهير"، وبالدكتور محمد خليل هراس في تحقيقه لكتاب "سيرة النبي صلى الله عليه وسلم لابن هشام"، وبالإستاذ علي فاعور في تحقيقه لكتاب "جمهرة أشعار العرب لأبي زيد القرشي".

١. بانت: معنى بان فارق، وهي من البين بمعنى البعد والفراق. أي: فارقت. وسعاد: علم مرتجل، يريد به امرأة يهواها حقيقة أو ادعاءً. فقلبي: الفؤاد، العقل، خالص كل شيء ومحضه، مصدر قلبه. واليوم: مقابل الليلة، مطلق الزمان، مدة القتال، ظرف لما بعده. ومتبول: سقيم، يقال أتبله الحب: إذا أسقمه أو ذهب بعقله. ومتيم: مذلل بالحب، يقال تامه الحب وتيمه عبده وذللـه. ولم يفد: لم يجد من يفديه. ومكبول: أسير مقيد، كَبَله وكَبّله: وضع في رجله القيد.
٢. غداة: هو اسم لمقابل العشي. والبين: مصدر "بان" بمعنى الفراق، وقد يكون بمعنى الوصل. والأغن: الذي في صوته غنه، والغنة صوت محبوب يخرج من الأنف. وغضيض: فاتر النظر منكسر الأجفان، وغض الطرف في الأصل: ترك النظر. الطرف: العين. ومكحول: المكحول والكحيل الذي يعلو جفون عينيه سواد خلقة من غير إكتحال.
٣. الهيفاء: الرشيقة الدقيقة الخصر. والعجزاء: الكبيرة العجز.
٤. تجلو: تكشف. والعوارض: الأسنان التي في عرض الفم أو ما يبدو من الفم عند الضحك. والظَلْم: بفتح وسكون: ماء الأسنان وبريقها، وقيل رقتها وشدة بياضها. ومنهل: اسم مفعل من أنهله إذا سقاه نهلاً وهو أول الشرب. والراح: الخمر وهو المراد هنا، والرياح، والارتياح، والكف. ومعلول: علّه يعُلّه بالضم على القياس، ويَعِلّه بالكسر إذا سقاه مرة ثانية.

٥. شجت: الشج: الكسر والشق ، والمراد هنا مزجت. وشبم: بفتح الشين: البرد الشديد. ومحنية: المحنية منعطف الوادي. وأبطح: المكان العالي، وهو المسيل المتسع الذي فيه دقاق الحصى. وأضحى: دخل في وقت الضحى، والأضحى البارز للشمس. ومشمول: الذي ضربته رياح الشمال حتى برد.
٦. تنفي: مضارع نفاه، إذا طرده. والقذى: جمع قذاة، وهي ما يسقط في العين والشراب من قشة ونحوها. وأفرطه: ملأه حتى فاض، وهي الزيادة ومجاوزة الحد وترك الشيء ونسيانه. وصوب: الصوب المطر. وغادية: الغادية السحابة تنشأ غدوة. وبيض: السحاب البيض. يعاليل: جمع يعلول، وهي القطعة من السحاب الأبيض، أو هي السحابة الطويلة.
٧. خلة: المراد الخليلة، والصديقة.
٨. سيط: خلط. وفجع: الفجع: الإيجاع ، أو الإصابة بما يكره. ولع: الولع: الكذب.
٩. تلوّن: الأصل تتلون حذفت التاء الثانية للتخفيف. والغول: كل شيء اغتال الإنسان وأهلكه، والمراد هنا إناث السعالي وهي إناث الشياطين.
١٠. تمسك: أي: تتمسك. وزعمت: تكلفت، أو قالت، وهو قول يدعيه المدعي، محتمل للحق والباطل، وغلب استعماله في الباطل.
١١. منت: جعلتك تتمنى. والأحلام: جمع حلم وهو ما يراه النائم. وتضليل: تضييع وإبطال، أو بمعنى إيقاع في الضلال.
١٢. عرقوب: رجل من يثرب يضرب به المثل في إخلافه الوعد. والأباطيل: جمع باطل.
١٣. إخال: أظن. وتنويل: التنويل مصدر نوله بتشديد الواو أي أعطاه.
١٤. العتاق: من الإبل والخيل الكريم الأصل السريع السابق. والنجيبات: جمع نجيبة وهي الكريمة الأصل. والمراسيل: جمع مرسال وهي السريعة السهلة اليدين في السير.
١٥. وعذافرة: الناقة الشديدة، أو الصلبة القوية. والأين: التعب والإعياء. إرقال: الإسراع في السير. والتبغيل: سير يشبه البغال لسرعته وشدته.
١٦. نضاخة: فوّارة، سائلة. والذفري: اهتمامها ومقدرتها. وطامس: المندرس المختفي. والأعلام: جمع علم وهو الشيء الذي ينصب في الطريق ليهتدى به.
١٧. النجاد: هو ما أشرف من الأرض وارتفع. والمفرد: ثور الوحش. واللهق: الأبيض. والحزان: جمع حزن بفتح فسكون وهو ما غلظ من الأرض. والميل: ما تراكم ومال من الأرض، أوهو منار يبنى للمسافر في أنشاز الأرض يهتدى به، ويدرك المسافة.

١٨. المقلد: موضع القلادة، والمراد هنا العنق. والفعم: الممتلئ. والمقيد: موضع القيد، الرسغ، أي أنها غليظة القوائم. وخلقها: خلقتها. وبنات الفحل: النوق. والتفضيل: الزيادة.
١٩. غلباء: غليظة الرقبة. ووجناء: عظيمة الوجنتين، وهما جانبي الوجه، أي الشديدة. وعلكوم: عظيمة السنام، والمراد هنا الضخمة الشديدة. ومذكرة: الشبيهة بالذكور في الضخامة والشدة. والدف: المشي الخفيف، والدف: الجنب. وقدامها ميل: القدام ما تقدم منها، والميل مسافة ليس لها حد معلوم، أي طويلة العنق.
٢٠. أطوم: سلحفاة بحرية غليظة الجلد، يشبه بها جلد البعير الأملس. ويؤيسه: يؤثر فيه ويلينه، أو يذلِّله. وطلح: بكسر الطاء: القراد ، قيل: المهزول. والضاحية: البارزة، من ضحيت بالكسر تضحى بالفتح: إذا برزت للشمس. والمننين: جانبي ظهرها.
٢١. الحرف: الناقة الضامرة. والمهجنة: الكريمة. والقوداء: أنثى الأقود وهو الذلول المنقاد، وقيل الطويلة العنق أو الظهر. وشمليل: السريعة الخفيفة.
٢٢. القراد: دويبة تتعلق بالبعير وغيره، وهي كالقمل للإنسان. واللبان: الصدر. وأقراب: جمع قُرُب بضمتين وهو الخاصرة. وزهاليل: جمع زهلول، وهو الأملس.
٢٣. عيرانة: التي تشبه في صلابتها عير الوحش، وقيل هى الناجية في نشاط. والنحض: اللحم المكتنز. والعرض: الجهة. والمرفق: المفصل بين الساعد والعضد. والزّور: الصدر. والمفتول: المدمج المحكم.
٢٤. فات: تقدم. ومذبحها: موضع الذبح. والخطم: الأنف. واللحيين: العظمان اللذان تنبت عليهما اللحية من الإنسان ونظير ذلك من الحيوان. وبرطيل: معول من حديد، أو الطويل.
٢٥. العسيب: الجريدة التي كشط منها الخوص، شبه بها ذنب الناقة. والخصل: جمع خصلة وهي الشعر المجتمع. والغارز: الناقة القليلة اللبن. وتخوّنه: تنقصه. والأحاليل: جمع إحليل، وهو مجرى البول من الإنسان، ومجرى اللبن من الثدي.
٢٦. قنواء: في أنفها حدب. وحرتيها: تثنية حرة وهي الأذن.
٢٧. تخذي: الخذي والخذيان نوع من السير. ويسرات: القوائم الخفاف الطيعة. واللاحقة: الضامرة الخفيفة اللحم. وذوابل: اليابسة. وتحليل: القليل، إشارة إلى سرعة رفعها قوائمها، وذلك أن التحليل من "تحلة الإيمان" فالمعنى أن مسهن الأرض قليل.
٢٨. العجايات: عصب قوائم الإبل والخيل. وزيماً: متفرقة، كناية عن شدة وطئها الأرض. والأكم: جمع أكمة وهي التل. وتنعل: لبس النعل، أي أنها لا تحفى في سيرها.

٢٩. أوب: أوب ذراعيها أي: رجع يديها وسرعة حركتها في السير. وإذا عرقت: كناية عن وقت الهاجرة. وتلفع: اشتمل، والتحف. والقور: جمع قارة ، والقار: الجبل الصغير. والعساقيل: جمع عسقول، وهو السراب.
٣٠. الحرباء: حيوان، له سنام كسنام الجمل، يتلون بحر الشمس. ومصطخداً: اصطخد الحرباء: إذا اصطلى بحر الشمس. وضاحية: ما برز منه للشمس. ومملول: أي : مشوي، والملة بالفتح: الرماد الحار.
٣١. ورْق: جمع أورق وهو الأخضر إلى السواد. والجنادب: نوع من الجراد، وقيل الصغار. ويركضن: يحركن، يدفعن. وقيلو: أمر من القيلولة، وهي نومة الظهيرة.
٣٢. وعيطل: الطويلة في حسن. والنصف: المتوسطة العمر، بين الشابة والكهلة. والنكد: النوق النكد: اللاتي لا يعيش لهن ولد، أو هى اللاتي ليس لهن لبن. والمثاكيل: جمع مثكال، وهي الكثيرة الثكل وهو فقد الولد.
٣٣. نواحة: كثيرة الصياح، أو المبالغة في النواح. ورخوة: اللينة أو المسترخية. والضبعين: تثنية ضبع وهو الإبط، أو العضد. والمعقول: العقل.
٣٤. وتفري: تقطع، تشق. ومدرعها: درعها وقيمصها. وتراقيها: جمع ترقوة بفتح التاء، وهي عظام الصدر التي تقع عليها القلادة. ورعابيل: جمع رعبول، وهي القطعة المتخرقة، أو هي قطع السحاب.
٣٥. الغواة: جمع غاوٍ، وهو الأثيم الضال. وجانبيها: حواليها. ومقتول: صائر إلى القتل.
٣٦. آمله: أرجوه وأتوقع نصرته. ولا أُلهِينك: لا أخدعنك بالأماني ولا أشغلنك. ومشغول: أي مشغول عنك بأمور نفسي.
٣٧. خلوا: أمر من التخلية وهي الترك. ولا أبا لكم: أي لا أباً حراً لكم، يقع في المدح والذم. وسبيلي: طريقي.
٣٨. حدباء: الآلة الحدباء يقصد بها النعش.
٣٩. نبئت: أخبرت خبراً صادقاً. وأوعدني: الوعد في الخير، والإيعاد في الشر. ومأمول: أي مرجو متوقع.
٤٠. النافلة: العطية الزائدة على ما يجب من العطاء. وتفصيل: تبيين وتوضيح.
٤١. لا تأخذني: لا تتهمني وتستذنبني بأقوال الواشين
٤٢. لقد أقوم مقاماً: لقد حضرت مجلساً هائلاً. وأرى وأسمع: أي رأيت أمراً عظيماً، وسمعت كلاماً عجيباً، لو رآه وسمعه الفيل، تتمته في البيت التالي.
٤٣. يرعد: تأخذه الرعدة من الخوف. وتنويل: العطاء، وأراد به الأمان.
٤٤. أقتطع: أقطع. والبيداء: الفلاة الواسعة وجمعها بيد. وجنح الظلام: جانبه أو الطائفة منه. ومسدول: أي مرسل مرخى ساتر للأشياء.

٤٥. وضعت يميني: صافحت النبي بإلإسلام. والمنازعة: المجاذبة. وذي نقمات: جمع نقمة بفتح فكسر وهي المكافأة بالعقوبة والمؤاخذة على الذنب. وقيله: أي قوله الصادق، الفصل.
٤٦. أخوف عندي: أي أشد الخوف عندي، كناية عن هيبته صلى الله عليه وسلم.
٤٧. الضيغم: الأسد. والضراء: بفتح الضاد: الشجر الكثيف الملتف. ومخدره: أي مكان خدره وهو العرين. وعثّر: اسم مكان، كثير الأُسد. والغيل: الأجمة، وهي الشجر الكثير الملتف.
٤٨. يلحم: يطعم لحماً. معفور. أي ملقى على العفر بفتحتين وهو التراب، أو هو مطروح على التراب. وخراديل: جمع خردلة وهي القطعة الصغيرة.
٤٩. يساور: يواثب. القرن: الخصم. ومفلول: مكسور منهزم.
٥٠. الجو: البر الواسع. نافرة: شاردة. والأراجيل: جمع رجيل، والراجل خلاف الراكب، والمراد: الصيادين.
٥١. أخو ثقة: أي الشجاع الواثق بشجاعته. ومضرج: متلطخ. البز: بفتح الباء: الثياب أو السلاح. والدرسان: الثياب الخلقة البالية. ومأكول: أي لحمه مأكول.
٥٢. يستضاء به: أي يهتدي به. ومهند: أي منسوب إلى الهند، وهو أجود السيوف عند العرب.
٥٣. عصبة: جماعة. وزولوا: هاجروا من مكة إلى المدينة، أو انهضوا للقتال وتحركوا. وقائلهم: المراد به عمر بن الخطاب.
٥٤. زالوا: أي ذهبوا. وأنكاس: جمع نكس بكسر فسكون: الرجل الضعيف الدنيء الجبان. وكشف: جمع أكشف وهو الذي لا ترس معه في الحرب أو لا بيضة على رأسه. وميل: جمع أميل وهو الذي لا يحسن الركوب، أو هو الجبان. ومعازيل: وهو من لا سلاح له.
٥٥. شم: جمع أشم وهو العالي المرتفع. والعرانين: جمع عرنين: الأنف، كناية عن الأنفة والإباء. واللبوس: بفتح اللام: الدروع. ونسج داود: صنع داود. وسرابيل: جمع سربال، وهي الدروع.
٥٦. سوابغ: الطويلة. وشكّت: أي ضم بعضها إلى بعض بالمشك. والقفعاء: نبات له حلق مثل الخواتم، شبه به الدروع. ومجدول: أي محكم الفتل.
٥٧. نالت: أصابت. ومجازيعاً: جمع مجزاع، وهو الكثير الخوف والجزع.
٥٨. الزهر: جمع أزهر، وهو الأبيض، يعني أنهم سادات لا عبيد، عرب لا أعراب. وعرّد: فرّ، وجبن. والتنابيل: القصار، وقيل التنبال البليد الكسلان، يعرّض هنا بالأنصار.

٥٩. حياض الموت: موارد الهلاك. وتهليل: جبن وفرار، وهو مصدر هلل عن الشيء: إذا تأخر عنه، أي ليس لهم تأخر عن موارد الردى.

التحليل الفكري:

يمكن تقسيم هذه القصيدة إلى أقسام ثلاثة فقط، القسم الأول مقدمة غزلية على عادة الشعراء الأقدمين، وتبدأ من (١-١٣). والقسم الثاني وصف للناقة التي توصله إلى المحبوبة، ويبدأ من (١٤-٣٤) . والقسم الثالث فيه إعتذار ومدح لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وللمهاجرين من أنصاره ، ويبدأ من (٣٥-٥٩).

القسم الغزلي:

بدأ كعب قصيدته بهذا المطلع الغزلي، تمشياً مع المنهج المعروف في إبتداء القصيدة في العصر الجاهلي. فذكر محبوبته سعاد على سبيل الحقيقة أو المجاز، وقد ارتحلت عنه وفارقته، فأصابه السقم والمرض، ووقع قلبه أسيراً ذليلاً في قيود حبها القوية المتينة، ولهذا فهو لا يستطيع أن يتخلى عنها؛ لا لأنه لم يجد من يفديه ويخلصه من هذه القيود فحسب؛ بل لأنها جميلة الخلق، فهي ضامرة الخصر، كبيرة العجز، رخيمة الصوت، عذبة الحديث، فاترة الطرف كحيلته، لها أسنان بيضاء لامعة ذات بريق أخاذ، ولها ريق حلو المذاق مسكر كأنه خمر معتقة ممزوجة بالماء الصافي البارد، ثم يشكو هجرها وإخلافها بالعهد ، تبديلها للأحوال وكذبها في المواعيد.

القسم الوصفي:

وينتقل إلى وصف الناقة كعادة الشعراء في عصره، فيصفها بكرامة الأصل والسرعة والقوة، حاشداً لها من الصفات ما يؤهلها لذلك، من ضخامة العنق وطوله، وعظمة الوجنتين وشدتهما، ونعومة الجلد وملاسته كناية عن سمنها، ثم يشبه وجهها في صلابته بمعول من حديد أو حجر مستطيل، وذنبها بجريد النخل ، وقوائمها بالرماح الصلبة. وهي في سرعتها لا تمس الأرض إلاّ تحيلاً ولا تحتاج إلى تنعيل يقيها من الحجارة لصلابة أخفافها. ويصف حركة ذراعيها وسرعة تقلبهما فيرينا صورة مادية لم يسبق إليها، ويستطرد معها إلى وصف شدة الحر.

القسم المدحي:

ويحتوي هذا القسم على المدح والإعتذار على الطريقة النابغية(حسين، ١٩٣٣، ٣٠٨)، فيذكر أولاً قصة وعيد الرسول - صلى الله عليه وسلم - له، وإهداره لدمه، ويذكر لنا أنه بعد أن بلغه هذا الأمر وضاقت عليه الأرض إلتجأ إلى بعض الأصدقاء حتى يعينوه في هذه المحنة ، ويدخلوه في جوارهم، ويحموه من القتل، ولكن خاب ظنه فيهم، فكل امرئ منهم مشغول بنفسه، ولما أحس منهم ذلك زجرهم بقول فيه عتاب

وحكمة ، طالباً منهم أن يتركوه وشأنه فكل ما قدر الرحمن مفعول، وكل إنسان لا محالة صائر إلى الموت.

ثم بعد ذلك يعيد هذه المعاني بطريقة أخرى فيها استعطاف ولين، ويظهر ذلك في قوله: "نبئت أن رسول الله أوعدني" والأبيات التي بعده ليستدر عطف الرسول - صلى الله عليه وسلم - عليه، فيقبل عذره ويصفح عنه، ويتريث في حكمه عليه ولا يأخذه بأقوال الوشاة والحاسدين، ويدعو له بالهداية من الله الذي أنزل إليه القرآن الكريم وما فيه من أحكام شرعية ومواعظ بالغة.

ثم يصف لنا أمر رهبته عند لقائه للرسول صلى الله عليه وسلم، معيداً قصة الوعيد مرة ثالثة لسيطرتها الشديدة عليه، ويظهر ذلك في قوله: "وقيل إنك منسوب ومسئول" فيصف الرسول بالهيبة والشرف والشجاعة مستطرداً في ذلك إلى أن وصفه بالأسد الكثير الصيد الشديد الضراوة والإفتراس. وينتقل بعد ذلك إلى وصف رحلته إليه وكيف أنه كان يقتطع البيداء الموحشة في ذلك الليل الشديد الظلام إلى أن جاءه وأعلن إسلامه بين يديه. وينطلق لسانه في مدح المهاجرين من أنصاره بالشرف والشجاعة والإقدام.

التحليل الفني:

قبل أن ندخل في التحليل الفني لهذه القصيدة، نود أن نشير إلى أن هذه القصيدة هي النموذج المثالي للمدائح النبوية، وقد اكتسبت هذه المكانة من استحسان الرسول صلى الله عليه وسلم لها، وقد أنشدت بين يديه صلى الله عليه وسلم، فأمر أصحابه بالإنصات لها، وكسا شاعرها ببردته المشرفة. ولهذا فقد احتذى الشعراء حذوها إلى يومنا هذا، ولا يبالغ الدكتور طه حسين حينما رأى أن هذه القصيدة تعادل مديح زهير بن أبي سلمى كله (حسين، ١٩٢٥، ج١، ١٢٦).

أهم سمات القسم الغزلي:

١. يرى بعض النقاد (الفاخوري، ١٩٨٦، ٤٠٩) أن الشاعر في هذا القسم يصطنع العاطفة اصطناعاً؛ ولهذا فهو لا يعاني تجربة حقيقية إنما يجري على التقليد القديم في افتتاح القصائد.
٢. ويلاحظ في هذا القسم أيضاً كثرة الصور الحسية وتراكمها في أوصافه، يتبع بعضها بعضاً، ولاسيما تشبيه حلاوة الثغر وبرودته بخمرة شجت بماء بارد، ثم إلحاقه بوصف هذا الماء ليبالغ في تصوير برودته وصفائه. وانظر إلى قوله "لكنها خلة قد سيط من دمها ... " أن يصفها بالكذب والاخلاف والفجع والتبديل فصوّر لك هذه الصفات ممزوجة بدمها، ثم انظر إلى قوله "إلا كما يمسك الماء الغرابيل "فهو لم يجد غير التصوير الحسي لتمثيل نكثها العهود (البستاني، ١٩٥٣، ٣٢٧).

٣. ونلمس في هذا القسم جنوح الشاعر إلى ضرب المثل والحكمة والتشبيهات لتأكيد إخلافها وتبديلها للعهود، فالتشبيه مثل قوله: "فما تدوم على حال ... "، والحكمة في قوله: "لا تمسك بالعهد الذي زعمت ..."، وضرب المثل في قوله: "كانت مواعيد عرقوب لها مثلاً ...".

أهم سمات القسم الوصفي:

١. في هذا القسم تكثر الألفاظ الغريبة فيصف ضخامة عنقها وطوله، وعظم وجنتيها، ونعومة جلدها. ثم يشبه وجهها في صلابته بمعول من حديد أو حجر مستطيل، وذنبها بجريد النخل ، وقوائمها بالرماح الصلبة (البساني، ١٩٥٣، ٣٢٧).
٢. وفي هذا القسم تكثر الصور المادية والتشابيه الحسية (البستاني، ١٩٥٣، ٣٢٧)، تلمس فيها الروح والحياة واندفاع الشاعر (الفاخوري، ١٩٨٦، ٤٠٥).

أهم سمات القسم المدحي:

١. ويلاحظ في هذا القسم رقة الألفاظ، وقلة استعمال الغريب، إلاّ في وصف الأسد، ولا بدع في ذلك فالمقام مقام استعطاف ولين. والشاعر الجاهلي يجعل لكل مقال مقاماً. فإذا تغزل أو استعطف أو رثى رقت عاطفته، فتجزل ألفاظه ويشتد أثرها. وإذا وصف ناقته والقفار الموحشة، والسباع الضارية، خشنت عاطفته، وخشنت ألفاظه معها (البستاني، ١٩٥٣، ٣٢٨).
٢. تظهر في هذا القسم حكمة زهير في قوله: "كل ابن انثى وإن طالت سلامته ... " كما يظهر إيمان كعب بن زهير على جاهليته في قوله: "فكل ما قدر الرحمن مفعول" (البستاني، ١٩٥٣، ٣٢٩).
٣. وتظهر في هذا القسم أيضا بداوة المعنى في وصفه هيبة النبي صلى الله عليه وسلم، وما يستولي من الفزع على الماثل في حضرته. وكأن الشاعر أراد الإعتذار من خوفه فلم يجد غير الفيل الضخم مثالاً للجرأة فقال: لو وقف الفيل موقفي ورأى ما رأيت، وسمع ما سمعت، لظل يرعد، فلا لوم عليّ إذا هبت الرسول فهو أهيب عندي من أسد كثير الإفتراس والصيد، شديد الضراوة (البستاني، ١٩٥٣، ٣٢٩).

سمات قصيدة بانت سعاد وخصائصها العامة:

(١) النفس الجاهلي في هذه القصيدة أقوى من النفس الإسلامي؛ لأن كعباً مدح الرسول بأسلوب جاهلي صرف دون أن يشير إلى فرض من فروض الدين الإسلامي أو آية من القرآن الكريم؛ وذلك بأنه كان يجهل حقيقة الدين الإسلامي يوم نظم قصيدته وهو لم يسلم إلاّ خوفاً ورهبة (البستاني، ١٩٥٣، ٣٢٨). ولعله بسبب هذا أن نجد للدكتور زكي مبارك رأياً مخالفاً في هذه القصيدة المجمع على تقديمها على غيرها في مجال المدح النبوي ، بحيث إنه أخرجها من جملة المديح النبوي؛ لزعمه أن الشاعر لم يكن صادقاً في هذا المدح، وإنما قالها بغرض النجاة من الموت، وأخرج معها كذلك دالية الأعشى،

وعينية حسان بن ثابت؛ لأن الأعشى كان طامعاً في عطايا النبي، أما حسان فإنه مدفوع بروح العصبية لا بروح الدين (مبارك، دون تاريخ، ١٦- ٣٣). فإن وافقناه على أن الأعشى لم يكن صادقاً فإن الأمر في عينية حسان مختلف جداً؛ لأن حسان قد قال هذه القصيدة عن إلتزام بهذا الدين وصدق تام في المنافحة عنه، وقد قيلت هذه العينية في السنة التاسعة للهجرة بعد أن رسخ الدين وانتفت العصبيات.

(٢) والذي نلاحظه أن كعباً بدأ قصيدته كما يبدأ الشعراء الجاهليون، فقدم لها بتللك المقدمة التقليدية التي يصفون فيها حبيبتهم المفارقة ويذكرون محاسنها الجيدة، واخلافها الوعد وغير ذلك، مما كان مألوفاً لديهم ولم ينكر النبي عليه ذلك، ولم ينهه عن مواصلة الحديث فيه ؛ لأنه كان يأخذ الذين يسلمون بالتدرج ولا ينفرهم بل يؤلف قلوبهم ويحبب إليهم الدين، وفيه أيضاً استدلال على إلقاء الشعر في المساجد بشرط أن يكون الشاعر ملتزم بتعاليم الدين الإسلامي، ولذلك يأتي شعره موافقاً لما جاء به الإسلام. وعن التشبيب في هذه القصيدة قال ابن قدامة: (لم يزل الناس يرون أمثال هذا ولا ينكر) (ابن قدامة، ١٩٨٤، ٤٤). ولصاحب "المجموعة النبهانية في المدائح النبوية" رأي مخالف في هذا الأمر، حيث إنه كان يود أن يستبعد قصائد المدح النبوية المفتتحة بالغزل والتشبيب، بسبب عدم رعايتها للأدب اللازم مع النبي صلى الله عليه وسلم، ولكي لا يكون شريكاً لناظميها فيما يلحقهم من الملام، بتغزلهم بما ذكر في مقدمة مديح النبي عليه الصلاة والسلام، ثم إنه لما رأى أن هذه القصائد المراد استبعادها هي من غرر القصائد في المديح النبوي، وهي الأغلبية الغالبة على هذا اللون من الشعر، عدل عن رأيه وتراجع؛ لأنه لا يطلع على حقيقة نواياهم في ذلك إلاّ علام الغيوب (النبهاني، ٢٠٠٣، ج١، ١٣- ١٥).

(٣) وهو يعنى بدقة التصوير، وبراعة الوصف، بتتبع المعنى، ولا سيما إذا وصف أخلاق سعاد من كذب في المواعيد ونكث للعهود والمواثيق (البستاني، ١٩٥٣، ٣٢٧):

فيالها خلة لو أنها صدقت بوعدها أو لو أن النصح مقبول
لكنها خلة قد سيط من دمها فجع وولع وإخلاف وتبديل
فما تدوم على حال تكون بها كما تلون في أثوابها الغول
وتمسك بالعهد الذي زعمت إلاّ كما يمسك الماء الغرابيل

(٤) ويلاحظ عنايته بالتنسيق ووحدة القصيدة، والتسلسل الفكري، فهو يحكم الإنتقال من معنى إلى معنى، ومن قسم إلى قسم، فينزع في ذلك منزع الإقتضاب البليغ؛ مما يكسب شعره انطلاقاً مع الموضوع، فإذا أراد مثلاً الإنتقال من الغزل إلى الوصف قال (الفاخوري، ١٩٨٦، ٤٠٧):

أمست سعاد بأرض لا يبلغها إلا العتاق النجيبات المراسيل

وإذا أراد الانتقال من وصف الناقة إلى مدح الرسول صلى الله عليه وسلم قال:
تسعى الغواة جانبيها وقولهم: إنك يا ابن أبي سلمى لمقتول

(٥) يعنى كعب بتخير الألفاظ وتتابع وقعها الموسيقي المدعم بالحكمة الزهيرية (الفاخوري، ١٩٨٦، ٤١٠):
إن الرسول لنور يستضاء به مهند من سيوف الله مسلول
في عصبة من قريش قال قائلهم ببطن مكة لما أسلموا : زولوا
زالوا فما زال أنكاس ولا لا كشف عند اللقاء ولا ميل معازيل

(٦) البيت رقم ٢٢ تأكيد للبيت رقم ٢٠ فلو ذكر إلى جانبه لكان أليق، وهو يعني أن جلدها أملس لسمنها ، فالقراد لا يثبت عليها، وهو تأكيد لمعنى واحد والبيتان هما:
وجلدها من أطوم ما يؤيسه طلح بضاحية المتنين مهزول
يمشي القراد عليها ثم يزلقه منها لبان وأقراب زهاليل

(٧) وقد عيب عليه وصف الناقة بغلظ الرقبة، فقال الأصمعي (ابن قتيبة، ١٩٨٠، ج١، ٨٧): "وهذا خطأ في الوصف، وإنما خير النجائب ما يدق مذبحه "، وقال أبو هلال العسكري (١٩٨٩، ١٢٣): "من خطأ الوصف قول كعب بن زهير " ضخم مقلدها " لأن النجائب توصف بدقة المذبح "، ولكن بعضهم يرى أن هذا ليس خطأ في الوصف؛ لأن الشاعر لم يقصد بضخامة عنقها بأنها نجيبة أو كريمة، وإنما جاء بالضخامة ليقرر شيئاً واحداً وهو قوتها وصلابتها، وقد عمل على تأكيد هذا المعنى في الأبيات التي بعده كما في "غلباء وجناء ... "، و "حرف أخوها أبوها ... "، و "عيرانة قذفت بالنحض ... " وغيرها.
(٨) كما نلاحظ المقدرة الفنية عند الشاعر الذي نراه يستخدم النواحي البيانية في شعره استخداماً رائعاً ونلمس ذلك مفصّلاً فيما يأتي:

أولاً: التشبيهات:

في البيت (٢) تشبيه لمحبوبته بغزال رخيم الصوت، وتقديره وما سعاد إلا كغزال أغن. وفي البيت(٤) تشبيه لثغرها بمنهل معلول، والمشبه اسم كأن والمشبه خبره أي منهل ومعلول. وفي البيت (٩) شبه تلوّن سعاد بأنه مثل تلوّن الغول. وفي البيت (١٠) شبه عدم محافظتها بالعهد بعدم محافظة الغرابيل على الماء، وهو تشبيه معدوم بمعدوم في صفة العدم. وفي البيت (١٢) شبه مواعيدها الكاذبة بمواعيد عرقوب الذي يضرب به المثل في خلف الوعد. وقوله في البيت (١٧): "ترمي بعيني مفرد لهق":

المشبه عينا الناقة والمشبه به عينا مفرد لهق. وقوله: "حرف"، في البيت (٢١) شبه الناقة بالحرف لأنها ضامر، إذ المعنى هي كحرف جبل أو سيف، في الدقة والصلابة والرفعة. وقوله فات عينيها إلخ في البيت (٢٤) تشبيه لوجه الناقة وعنقها بحجر طويل مستطيل. والبيت (٢٥) فيه تشبيه لذنب الناقة بعسيب النخل. وقوله في البيت (٢٩): "كأن أوب ذراعيها"، شبه سرعة تقليب الناقة ليديها ورجليها في السير وقت اشتداد الحر بذراعي امرأة طويلة العنق متوسطة العمر قامت للنوح فجاوبها نسوة نكد مثاكيل. وفي البيت (٣٠) شبه ضاحي الحرباء في ظاهره بالخبز المملول أي المجعول في الرماد الحار في ظهور أثر الحرارة. وقوله البيت (٣٢) "ذراعا عيطل نصف" بمعنى أوب ذراعي عيطل، وهو مشبه بما مرَّ من الأداة وهي "كأن" في قوله (كأن أوب ذراعيها إذا عرقت). وقوله: "مدرعها مشقق رعابيل" في البيت (٣٤) الكلام إذا حمل على تقدير أداة التشبيه وكان المعنى: مدرعها مشقق كالرعابيل، كان تشبيهاً مؤكداً. وقوله: "إن الرسول لنور" في البيت (٥٢) يمكن أن يكون محمولاً على التشبيه بحذف أداته أي أن الرسول كمثل نور حيث ظهرت به الأشياء للبصائر كما تظهر بالنور للبصر وامتاز به الحق من الباطل كما تمتاز بالنور المسالك من المهالك وارتفع به الغي كما ترتفع بالنور الظلمة. وقوله: "مهند من سيوف الله مسلول" في البيت (٥٢) يمكن أن يكون على حذف أداة التشبيه أي كمثل سيف وعلى هذا قوله مهند صفة لنور جارٍ على الحقيقة وهذا الوجه يوافق ما وقع في بعض الروايات من قوله: "إن الرسول لسيف يستضاء به". وقوله لبوسهم سرابيل في البيت (٥٥) محمول على التشبيه أي لبوسهم مثل سرابيل في عدم شق الصدور. وقوله كأنها حلق القفعاء في البيت (٥٦) من باب التشبيه حيث شبه حلق الدروع بحلق القفعاء وهذا تشبيه حسي بحسي ووجه الشبه متعدد وهوالاستدارة والكثرة والضيق على مقدار مخصوص. وقوله: يمشون مشي الجمال الزهر في البيت (٥٨) شبه مشي الصحابة بمشي الجمال في التؤدة والنشاط والسرعة، وهذا تشبيه غريب مبتذل وغرضه راجع إلى المشبه وهو بيان حاله (الدولت آبادي، ١٩٠٦، ٩- ٢٣٤).

ثانياً: الاستعارات:

البيت الأول فيه ثلاث استعارت تصريحية الأولى في قوله "متبول": وهي في تشبيه العشق بالمرض في إيراث الضعف والإفضاء إلى الهلاك. والثانية في قوله "متيم": إذ المحب في جناب المحبوب كالعبد في الإطاعة والانقياد. والثالثة في قوله "مكبول": لأن العشق يستلزم عدم التجاوز عن المعشوق وملازمته إياه كالقيد. وفي البيت (١٧) استعارتان، الأولى في قوله "ترمي الغيوب": فإن إيقاع النظر بسرعة يشبه الرمي في سرعة الوقوع على المحل، على هذا التحقيق فهي استعارة تصريحية تبعية. والثانية في قوله "إذا توقدت الحزان والميل": لأنه أريد به كمال حر الشمس بتوقد النار على الاستعارة التصريحية. والبيت (٢٣) قوله "عن بنات الزور" استعارة تصريحية؛

لأنه أريد بها الاضلاع المتصلة بالزور والمشبهة بالبنات في كونها متصلة ومتعلقة به. وقوله "رءوس الأكم" في البيت (٢٨) من باب الاستعارة التصريحية حيث أريد بها أعالي الأكم المشبه بالرءوس. والاستعارة في البيت (٥١) في ذكر الدرسان وإرادة الثياب التي مزقها الأسد عند أكل اللابس على سبيل الاستعارة التصريحية. وقوله "النور يستضاء به": في البيت (٥٢) يمكن أن يكون مستعاراً عن الهادي فإن الهادي يشبه النور حيث يعرف بكل واحد منهما الجادة الموصلة إلى البغية وكان من باب ذكر المشبه به وإرادة المشبه فكان استعارة تصريحية، وحينئذٍ يراد بالاستضاء الاهتداء على الاستعارة التصريحية أيضاً ويكون من باب ترشيح الاستعارة. كما أن قوله "مهند من سيوف الله مسلول": في نفس البيت، يمكن أن يراد به الحجة القاطعة لشبهة الخصوم على الاستعارة التصريحية، وحينئذ يراد بالسيوف الحجج أي أن الرسول لصاحب حجة قاطعة من حجج الله وعلى هذا يراد بالمسلول الظاهر القاطع على الاستعارة التصريحية، وكان ترشيحاً لاستعارة السيف. وقوله "من نسج داود" في البيت (٥٥) أما على الحقيقة لامكان بقاء الدروع التي نسجها داود عليه السلام أو أريد بها الدروع السوابغ المسرودة المشبهة بمنسوجاته على الاستعارة التصريحية. أما قوله "إذا عرّد السود التنابيل": في البيت (٥٨) وإذا أريد بالسود السود الوجوه للفرار وبالتنابيل القصار الهمة والقدر كان من الاستعارة التصريحية حيث أن الانفعال الحاصل للمرء بالفرار عن المعركة مشبه بسواد الوجوه في كون كل منهما أمراً مذموماً مكروهاً مخرجاً للمتصف عن الأبهة والرواء وطراوة المنظر فذكر المشبه به وأراد المشبه. وكذا قصور الهمة مشبه بقصر القامة فإن قصر الهمة يمنع صاحبه عن بلوغ الدرجات السامية كما أن قصر القامة يمنع عن بلوغ الأماكن العالية فكان قصر القامة وإرادة قصور الهمة من الاستعارة التصريحية. أما الاستعارة المكنية فهي في اسناد قوله "لا يشتكي" في البيت (٣) إلى القصر والطول. وفي ضمير شجّت في في البيت (٥) إن كان عائداً إلى العوارض إذ العوارض ليست مما يشج ويمزج بشيء. وفي وقوله "سمر العجايات" في البيت (٢٨) حيث شبه العجايات في الصلابة بمسامير الحديد على سبيل الاستعارة المكنية، أثبت لها كونها مسمورة في قوائمها على سبيل التخييل. وفي قوله "تلفع بالقور العساقيل" في البيت (٢٩) حيث شبه السراب بما يتلفع به الشيء لاشتركهما في ستر ما تحتهما وأثبت وصف التلفع به وهو من لوازم المشبه على سبيل الاستعارة المكنية (الدولت آبادي، ١٩٠٦، ٩-٢٣٤).

ثالثاً: الكنايات:

قوله "غضيض الطرف" في البيت (٢) يحتمل أن يكون على الحقيقة، كما يحتمل أن يكون كناية عن الحياء، أو كناية عن تحمل مساوئ الرقباء. وقبول النصح في

البيت (٧) يحتمل أن يراد به الحقيقة، ويحتمل أن يكون كناية عن التحرز والامتناع عن الذمائم والمساوئ، ويكون هذا من باب الكناية المطلوب بها نفس الصفة. وقوله "أرجو وآمل أن تدنو مودتها" في البيت (١٣) يحتمل أن يكون قرب حصول مودتها كناية عن قرب رجوعها إليه لأن قرب المحبة يستلزم قرب التوجه إلى المحب وذلك يستلزم قرب رجوعها إليه. وقوله "إلا العتاق النجيبات المراسيل" في البيت (١٤) كناية عن كونها بعيدة سحيقة وهذه كناية مطلوب بها نفس الصفة. وقوله "ولن تبلغها إلا عذافرة" في البيت (١٥) هذا القصر كناية عن كونها بعيدة. وقوله "نضاخة الذفرى" في البيت (١٦) يمكن أن يكون كناية عن شدة سيرها وغاية سمنها وقوتها. وضخامة المقلد وفعامة المقيد في البيت (١٨) كنايتان عن سمنها وفخامتها وشبهها بالفحول من الكناية المطلوب بها الصفة. قوله "غلباء وجناء" في البيت (١٩) أما على الحقيقة أو هو كناية عن ضخامتها وصلابة أعضائها وكونها تامة الخلق، وكذا قوله في دفها سعة يمكن أن يراد حقيقة سعة دفها ويمكن أن يكون كناية عن كمال قوتها الذي هو من لوازم سعة الدفين. وقوله "من أطوم ما يؤيسه" في البيت (٢٠) تأييس الطلح كناية عن إيذائه إياها وشربه دمها من الكناية المطلوب بها الصفة. وقوله "أبوها أخوها" في البيت (٢١) كناية عن كمال قوتها وصلابتها وغاية كرمها ونجابتها لأن ذلك من لوازم إنزاء البعير على النوق القريبة منها كالأم والبنت فإن قريب البهائم أشهى منه إلى غيرهن بخلاف الإنسان ومتى كانت الشهوة أكمل كان الولد أقوى لأن العادة أن يختار إنزاء الفحل على قرابة إلا إذا كان نجيباً فيأتي بالأولاد النجيبة وهي من باب الكناية المطلوب بها الصفة. وقوله يمشي القراد وقوله ثم يزلقه في البيت (٢٢) يمكن أن يكون مجموعهما كناية عن كمال سمنها وغاية ملاستها فإن ذلك من لوازم مفهومهما ويكون الكلام من باب الكناية المطلوب بها نفس الصفة، ويمكن أن يكون المراد بهما محض حقيقتهما. وقوله "مرفقها عن بنات الزور مفتول" في البيت (٢٣) كناية عن كون عضدها أطول من ساعدها وذلك من الصفات الجيدة للنوق تصونها عن الزلق والضغطة. وإمرار الذنب على الغارز في البيت (٢٥) أما كناية عن طوله، يعني ذنبها طويل بحيث يصل إلى غارزها أو كناية عن صيانتها ضرعها عن الذباب ونحوه بإمراره فيرجع إلى مدح الضرع. وقوله "قنواء" في البيت (٢٦) يمكن أن يكون كناية عن كونها قوية صلبة فإن ذلك من لوازم كونها قنواء. وقوله "مسهن الأرض تحليل" في البيت (٢٧) كناية عن كمال خذيانها بحيث أنها تمشي في الهواء ولا تمس الأرض بقوائمها إلا قليلاً للتحليل. وقوله يتركن الحصى زيماً وقوله لم يقهن رءوس الأكم تنعيل في البيت (٢٨) يمكن أن يكون كنايتين عن كمال صلابة قوائمها أو عجايات قوائمها لكونهما من لوازمها. وتلفع القور بالعساقيل في البيت (٢٩) كناية شدة الحر من باب الكناية المطلوب بها نفس الصفة. وقوله "يظل الحرباء مصطخداً كأن ضاحيه مملول في البيت (٣٠) كناية عن شدة الحر لأن ذلك من لوازمها

وهي باب الكناية المطلوب بها نفس الصفة. وقوله يركضن الحصى في البيت (٣١) كناية عن كمال اشتداد الحر. ونعى الناعين في البيت (٣٣) يمكن أن يكون كناية عن موت الولدان لأن ذلك من لوازمه ويكون من باب الكناية المطلوب بها نفس الصفة أيضاً. وكذا قوله رخوة الضبعين يمكن أن يكون كناية عن كمال سرعتها في رجع الضبعين وتقلبهما لكفيهما وكان من باب الكناية المطلوب بها نفس الصفة. قوله تسعى الوشاة جانبيها في البيت (٣٥) كناية عن كثرة الوشاة لأنها من لوازم احتفافهم بها وعدوهم حواليها وعن إسراع الناقة في سيرها. قوله لا ألهينك وقوله أني عنك مشغول في البيت (٣٦) كنايتان عن ظهور البغض وانمحاء آثار الخلة فإن الالهاء الخداع والإعرض من لوازم ذلك وهو من باب الكناية المطلوب بها نفس الصفة. وقوله "قال كل صديق إلى آخر البيت" في البيت (٣٦) كناية عن انقطاع الرجاء عن الناس كافة لأنه إذا أبغضه خلاً فما ظنك في غيرهم وعن انتهاء المهلة في نجاته إلا باتيان جناب رسول الله صلى الله عليه وسلم معتذراً مستعفياً وهذه الكناية أيضاً من باب الكناية المطلوب بها نفس الصفة. قوله "على آلة حدباء محمول" في البيت (٣٨) كناية عن الموت لأن الحمل على الجنازة مستلزم للموت فكان من باب الكناية المطلوب بها نفس الصفة. والعفو عند رسول الله مأمول في البيت (٣٩) من باب الكناية فإن قوله [عند] ظرف مكان لدنو الشيء فكان معنى الكلام والعفو مأمول في مكان يقرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم، كناية عن كون العفو مأمولاً من ذاته عليه الصلاة والسلام، فكان من باب الكناية المطلوب بها النسبة. والتنويل للفيل في البيت (٤٣) كناية عن النظر إليه والمرحمة في حقه لأنه من لوازمه فيكون من باب الكناية عن الموصوف، أو المراد به إعطاء الأمان وكان من باب صدق المطلق على المقيد بالقرينة والمقام الموصوف بالصفة المذكورة كناية عن الجناب العظيم هو جناب أعظم المخلوقات أي جناب النبي صلى الله عليه وسلم أو عن موضع قيام المجرمين. قوله "ذي نقمات قيله قيل" في البيت (٤٥) كناية عن النبي عليه الصلاة والسلام من باب الكناية عن الموصوف. وقوله "أخوف عندي" في البيت (٤٦) وقد مرّ بنا أن [عند] يدل على مكان قريب من الشيء وتعلق كونه أخوف بالمكان الذي يقرب منه كناية عن تعلقه بذاته وهي من باب الكناية المطلوب بها النسبة. وكونه من بطن عثر في البيت (٤٧) كناية عن كون ذلك الأسد من خيار الأسود لأن الوسط من كل موضع إنما يسكنه خيار أهله وأعيانهم. وكون الأسد مربياً لاحماً لشبلين عيشهما لحوم الرجال في البيت (٤٨) كناية عن كونه أكمل في كونه مخوفاً لأن ذلك يستلزم كونه كثير الاصطياد عظيم الافتراس فإن الأسد إن كان لاحماً لشبلين كان أكثر افتراساً وأدوم اصطياداً حيث يقصد إشباعهما وإطعامهما وذلك يستلزم كونه مخوفاً أشد مخافة ومهيباً أبلغ مهابة وهذه الكناية من باب الكناية المطلوب بها نفس الصفة. قوله "لا يحل أن يترك القرن إلا وهو مفلول" في البيت (٤٩) كناية عن كمال شجاعته لأن عدم

حل ترك القرن غير مفلول يستلزم كونه مفلولاً وذلك يستلزم التزام كونه مفلولاً وذلك يستلزم كمال شجاعته فكان من باب الكناية المطلوب بها نفس الصفة. وظلول سباع الجو من ذلك الأسد ضامرة ضعيفة في البيت (٥٠) كناية عن كمال مهابته حيث يستلزم أنها لا تستطيع أن تصطاد خوفاً منه وذلك يستلزم كمال مهابته وهي من الكناية المطلوب بها الصفة ، وكذا انتفاء تمشية الأراجيل أيضاً. وفي البيت (٥١) فإن دوام وقوع شجاع ذي ثقة بشجاعته مطروح السلاح مأكول اللحم في وادي الأسد يستلزم دوام اصطياد الشجعان فجعل كناية عن ذلك من باب الكناية المطلوب بها الصفة. والبيت (٢٤) كناية عن شجاعتهم لأنه يدل على أنهم زالوا عن مكانهم وأوطانهم وعند المحاربة لم تزل عن مكان الحرب ضعفاؤهم أيضاً ولا الذين ليس معهم ترس ولا سيف ولا رمح فما ظنك بالأقوياء من أولي دروع وسيوف ورماح فزوالهم عن مكانهم وعدم زوالهم عند اللقاء عن مكانهم بعد زوالهم عن مكانهم من لوازم غاية الشجاعة ونهاية الجرأة فإن المقاومة على المحاربة في أرض الغير أشق وأصعب. وقوله "شم العرانين" في البيت (٥٥) كناية عن كون كل تام الخلقة عظيم الصورة فإن الأفطس والأذلف يفقدها جمالها ومهابتها جدا. وقوله "من نسج داود" في البيت (٥٥) ويمكن أن يراد حقيقة القميص ويكون الكلام كناية عن شجاعتهم بكونهم في الهيجاء بلا دروع بل بلا دثار أيضاً لاكتفائهم بالقميص. وقوله شكّت في البيت (٥٦) كناية كثرة حضور اللابس تلك الدروع في المعارك لأن ذلك من لوازمه. وعدم فرح أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بإصابة رماحهم قوماً وعدم جزعهم بإصابة رماح الخصوم إياهم في البيت (٥٧) كناية عن قوة باطنهم بعد بيان قوة ظاهرهم. أو يقال عدم فرحهم بإصابة رماحهم كناية عن لين قلوبهم أي لينوا القلوب بحيث لا يحصل لهم فرح بقتل الأعداء، وأيضاً عدم جزعهم بإصابة رماح الخصوم إياهم كناية عن غاية شجاعتهم وكمال رسوخهم في أمر المحاربة فإن عدم الجزع بإصابة الرماح من لوازم ذلك. والبيت (٥٨) كناية عن كمال شجاعتهم أو عن كمال تؤدتهم ووقارهم فإن المعنى هم يسرعون إلى الهيجاء إسراع الجمال وقت فرار القوم يعصمهم عن الأعداء في ذلك الوقت ضربهم إياهم بالسيوف والرماح، ولا يخفى أن الإسراع إلى الحرب وقت فرار القوم من لوازم الشجاعة وغاية الرسوخ في أمر المحاربة. قوله "لا يقع الطعن إلا في نحورهم" في البيت (٥٩) كناية عن كونهم أبداً مقبلين على الأعداء متوجهين عليهم غير منحرفين عنهم غلبوا أو غلبوا وذلك يستلزم أن لا يقع الطعن إلا في نحورهم فلا يصيبهم الضرب إلا في صدرهم وهي من باب الكناية المطلوب بها الصفة (الدولت آبادي، ١٩٠٦، ٩- ٢٣٤).

أثر هذه القصيدة في اللغة العربية:

قبل أن نكشف عن مدى تأثير هذه القصيدة في اللغة العربية، نود أن نتكلم أولاً عن تأثر كعب بن زهير في هذه القصيدة بمن سبقه من الشعراء السابقين والمعاصرين

له، وخاصة الذين يبدأون قصائدهم بـ (بانت سعاد) ومن هؤلاء الأعشى وله قصيدتان، مطلع الأولى (الأعشى، ١٩٩٤، ٢٢٠):

بَانَتْ سُعَادُ وَأَمْسَى حَبْلُهَا اِنْقَطَعَا وَاحْتَلَّتِ الْغَمْرَ فَالْجُدَّيْنِ فَالْفَرَعَا

ومطلع الثانية (الأعشى، ١٩٩٤، ٦٥):

بَانَتْ سُعَادُ وَأَمْسَى حَبْلُهَا رَابَا وَأَحْدَثَ النَّأْيُ لِي شَوقاً وَأَوْصَابَا

وقيس بن الحدادية (ت: ١٠ ق . هـ) ومطلع قصيدته:

بَانَتْ سُعَادُ وَأَمْسَى الْقَلْبُ مُشْتَاقَا وَأَقْلَقَتْهَا نَوى الأَزْمَاعِ إِقْلاقَا

والنابغة الذبياني، ومطلع قصيدته (النابغة، ٢٠٠٣، ١٠١):

بَانَتْ سُعَادُ وَأَمْسَى حَبْلُهَا اِنْجَذَمَا وَاِحْتَلَّتِ الشَّرَعَ فَالأَجْزَاعَ مِنْ إِضَمَا

وربيعة بن مقرم الضبي، الشاعر المخضرم (ت : ١٦ هـ) ومطلع قصيدته (الضبي، دون تاريخ، ٢١٣):

بَانَتْ سُعَادُ وَأَمْسَى حَبْلُهَا مَعْمُودَا وَأَخْلَفَتْكَ إِبْنَةُ الْحُرِ الْمَوَاعِيدَا

والشماخ الذبياني الشاعر المخضرم ، (ت: ٣٢) ومطلع قصيدته (الذبياني، ١٩٦٨، ٢٧١):

بَانَتْ سُعَادُ فَنَوْمُ الْعَيْنِ مَمْلُولُ وَكَانَ مِنْ قِصَرٍ مِنْ عَهْدِهَا طُولُ

وقد لاحظ الدكتور طه حسين تأثر كعب في هذه القصيدة بوالده زهير بن أبي سلمى، والنابغة الذبياني (حسين، ١٩٢٥، ١١٤- ١٢٦).

وقد ذكر ياقوت الحموي في أثر هذه القصيدة قوله: "بلغني أن الشيخ الإمام أبي محمد بن الخشاب أنه قال: أمعنت التفتيش والتنقير فلم أقع على أكثر من ستين قصيدة أولها بانت سعاد "(الصفدي، ٢٠٠٠، ج١٠، ١٨٣).

وقال ابن الأنباري عن القاسم: "كان بندار يحفظ سبعمائة قصيدة أول كل قصيدة بانت سعاد ... وكان بندار متقدماً في علم اللغة ورواية الشعر" (الصفدي، ٢٠٠٠، ١٨٣).

وقد تحدث صلاح الدين الدين الصفدي عن قصيدة (بانت سعاد) بأنها: "قصيدة مشهورة وما من شاعر في الغالب جاء بعده ومدح رسول الله صلى الله عليه وسلم إلاّ وقد نظم في وزنها ورويها، ولله دره القاضي محي الدين عبد الله بن الظاهر حيث يقول:

لَقَـدْ قَـالَ كَعْـبٌ فِـي النَّبِـيِّ قَصَـيدَةً وَقُلْنَـا عَسَـى فِـي مَدْحِـهِ نَتَشَـارَكُ
فَـإِنْ شَـمِلَتْنَا بِـالْجَوَائِزِ رَحْمَـةٌ كَرَحْمَـةِ كَعْـبٍ فَهْـوَ كَعْـبٌ مُبَـارَكُ

وقلت أنا - أي صلاح الدين الصفدي - أمدحه بقصيدة متيمناً بوجهه الأغر وكعبه المبارك راجياً أن أحشر في زمرة من مدحه فأولاه بره يوم القيامة ومنحه، ومطلعها (الصفدي، ٢٠٠٠، ٩٣):

سلوا الدمع فإن الصب مشغول ولا تملوا ففي إملائها طول

أما إذا وصلنا إلى التعريف بتأثيرها في غيرها في العصور التالية لها، فإنا نقول إن المتقدمين والمتأخرين اهتموا بهذه القصيدة اهتماماً عظيماً، وعدوها من أجلّ ما قيل في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم، وعنى بها الشعراء عناية كبيرة، فضمنوها أشعارهم، وعارضوها، وشطروها، وخمسوها.

وأثر هذه القصيدة في العصر الأموي نجده مثلاً في شعر الأخطل، وله قصيدتان مطلع الأولى(الأخطل، ١٩٩٤، ٧٧):

بَانَتْ سُعَادُ فَفِي الْعَيْنَيْنِ تَسْهِيدُ وَاِسْتَحْقَبَتْ لُبَّهُ فَالْقَلْبُ مَعْمُودُ

ومطلع الثانية (الأخطل، ١٩٩٤، ٢٣٢):

بَانَتْ سُعُادُ فَفِي الْعَيْنَيْنِ مَلْمُولُ مِنْ حُبِّهَا وَصَحِيحُ الْجِسْمِ مَخْبُولُ

وفي شعر أبي جلدة اليشكري، وله قصيدة مطلعها (الأصفهاني، ١٩١٦، ج١١، ١٠٦):

بَانَتْ سُعَاد وَأَمْسَى حَبْلُهَا انْقَطَعَا وَلَيْتَ وَصْلاً لَهَا مِنْ حُبِّهَا رَجَعَا

وفي شعر عدي بن الرقاع، وله قصيدتان جاء في الأولى قوله (العاملي، ١٩٩٠):

بَانَتْ سُعَادُ وَأَخْلَفَتْ مِيعَادَهَا وَتَبَاعَدَتْ عنَّا لِتَمْنَعَ زَادَهَا

ومطلع الثانية (العاملي، ١٩٩٠):

بَانَتْ سُعَادُ وَلَيْسَ الْوُدُّ يَنْصَرِمُ وَدَاخِلَ الْهَمِّ مَا لَمْ تُمَضِّهِ سَقَمُ

وأما أثر هذه القصيدة في العصر العباسي ، فيتمثل في مثلاً في شعر (الناشئ الأكبر ت: ٢٩٣ هـ) وله قصيدة مطلعها (الموسوعة الشعرية، ٢٠٠٥):

بَانَتْ سُعَادٌ وَكَانَتْ بَيْضَةُ الْبَلَدِ فَقُلْتُ قَدْ فَارَقَتْ رُوحِي مِنَ الْجِسْمِ

وفي العصر المملوكي والتركي نجد أثر هذه القصيدة في شعر شهاب الدين الخزرجي، وله مقطوعة من بيتين وهي قوله (الموسوعة الشعرية، ٢٠٠٥):

أَبَانَتْ عَنِّي سُعُادُ وَاسْتَبْدَلَتْنِي مَتْبُولَ إِذْ أَخْرَجَتْ ظَبْيَاً هُوَ السُّولُ
وَقُلْتُ لَمَّا جَعَلْتُ الْقَلْبَ مَسْكَنَهُ بَانَتْ سُعَادُ فَقَلْبِي الْيَومَ مَتْبُولُ

وفي شعر الصاحب شرف الدين، وله في تشطيرها قصيدة مطلعها (الموسوعة الشعرية، ٢٠٠٥):

أَوْهَمْتَ نُصْحَاً لَوْ أَنَّ النُّصْحَ مَقْبُولُ لا أَلْهِيَنَّكَ إِنِي عَنَّكَ مَشْغُولُ
بَانَ التَّجَلُّدُ عَنِّي وَالتَّصَبُّرُ مُذْ بَانَتْ سُعَادُ فَقَلْبِي الْيَومَ مَتْبُولُ
تَيَاهَةٌ آثَرَتْ صَدّاً لِمُغْرَمِهَا مُتَيَّمٌ إِثْرَهَا لَمْ يُفْدَ مَكْبُولُ

وفي العصر الحديث والمعاصر يظهر أثر هذه القصيدة بوضوح، وهناك عدد كبير من الشواهد، وفي دول إسلامية مختلفة، ففي مصر مثلاً نجد هذا الأثر في شعر محمود صفوت الساعاتي، وله قصيدة جاء فيها (الموسوعة الشعرية، ٢٠٠٥):

أَمَا لِي بِكَعْبٍ أَسْوَةٌ عِنْدَمَا الْتَجَا إِلَيْهِ وَفِي بَانَتْ سُعَادُ مُسَاعِدُ

وفي شعر أحمد محرم، وله قصيدة جاء في آخره (الموسوعة الشعرية، ٢٠٠٥):

لَقِيتَ كَرَامَةً وَسَعِدْتَ جِدّاً فَغَنِّ إِذَاً وَقُلْ بَانَتْ سُعَادُ

وفي لبنان في شعر خليل الخوري الذي يقول في إحدى قصائده (الموسوعة الشعرية، ٢٠٠٥):

إِلَى دَارِ السَّعَادَةِ قُمْتَ تَسْعَى فَقُلْتُ لِصُحْبَتِي بَانَتْ سُعَادُ

وفي شعر أحمد تقي الدين، حيث يقول في مقطوعة له (الموسوعة الشعرية، ٢٠٠٥):

وَالْعَيْنُ لَوْلاَ الْهُدَى أَرَّخْتُهَا لَجَرَتْ بَانَتْ سُعَادُ وَقَلْبِي الْيَوْمَ مَتْبُولُ

وفي شعر شكيب أرسلان، وله قصيدتان جاء في الأولى قوله (الموسوعة الشعرية، ٢٠٠٥):

حَتَّى إِذَا شَغَفَ الْقَلْبُ الَذِي اِجْتَذَبَتْ بَانَتْ سُعَادُ فَقَلْبِي الْيَوْمَ مَتْبُولُ

وفي الثانية قوله (الموسوعة الشعرية، ٢٠٠٥):

وَقُولُوا لَهُمْ بَانَتْ سُعَادٌ فَلا يَزَل فُؤَادُكُمُو دَهْراً عَلَيْهَا مُتَيَّمَا

وفي عمان في شعر أحمد بن سعيد الستالي الشاعر المملوكي، وله قصيدة مطلعها (الموسوعة الشعرية، ٢٠٠٥):

بَانَتْ سُعَادٌ وَغَنَّى رَكْبَهَا الْحَادِي وَمَا وَفَتْ لَكَ فِي وَصْلٍ بِمِيعَادِ

وفي تركيا في شعر حسن حسني الطويراني، وله ثلاثة قصائد دالية، مطلع إحداها (الموسوعة الشعرية، ٢٠٠٥):

بَانَتْ سُعَادٌ فَرَغَدُ الْعَيْشِ مَنْكُودُ وَوَدَّعَتْ فَجَلِيدُ الْقَلْبِ مَكْمُودُ

وفي سوريا في شعر سليمان الصولة ، وله قصيدتان مطلع أولاهن (الموسوعة الشعرية، ٢٠٠٥):

بَانَتْ سُعَادُ وَمَدْمَعِي وَرْدِي وَمَتَى يَكُونُ الْمُلْتَقَى وَ رَدِّي

وفي فلسطين في شعر العلامة يوسف النبهاني، وله قصيدة طويلة جداً في معارضتها جاء فيها قوله (النبهاني، ٢٠٠٣، ج٣، ١٧٦):

إِنْ كَانَ مَتْبُولَ قَلْبٍ يَوْمَ أَنْشِدُكُمْ بَانَتْ سُعَادُ فَقَلْبِي الْيَوْمَ مَتْبُولُ

وفي السودان شعر العلامة عبد الله الطيب، نأخذ لك مثلاً قصيدته التي تغزل فيها بمضيفة الطائرة، أولها (الطيب، ١٩٦٠، ١٦١):

يا جارة البين منها الحسن والطول إن الفؤاد، فؤاد السَّفر متبول

أروع ما قيل في معارضة القصيدة:

وبعد أن بينا أثر هذه القصيدة في مختلف العصور، فقد آن الأوان للوصول إلى ذكر أروع ما قيل في معارضتها (عقيل، ٢٠٠٤، ٥٢٩- ٦٠٣؛ ومبارك، دون تاريخ، ٢٦- ٢٧)، ويتحدد ذلك من خلال ما سنذكره من مطالع القصائد التالية، ومن هذه القصائد قصيدة العلامة أبو القاسم محمود الزمخشري ومطلعها:

أَضَاءَ لِي بِاللِّوَي وَالْقَلْبُ مَتْبُولُ نَجْدِيُّ بَرْقٍ بِنَارِ الْحُبِّ مَوْصُولُ

وقصيدة الإمام شرف الدين البوصيري ، ومطلعها:

إِلَى مَتَى أَنْتَ بِاللَّذَاتِ مَشْغُولُ وَأَنْتَ عَنْ كُلِّ مَا قَدَّمْتَ مَسْئُولُ

وقصيدة الإمام يحيى الصرصري، ومطلعها:

رَكْبَ الْحِجَازِ وَمِنْكَ الْخَيْرُ مَأْمُولُ هَلْ عِنْدَكَ الْيَوْمَ لِلْمُشْتَاقِ تَنْوِيلُ

وقصيدة نور الدين أبو الحسن التميمي الهمداني، ومطلعها:
سَلْمَى سَلِمْتِ فَفِيكِ الصَّبُّ مَقْتُولُ وَالْغَدْرُ مِنْكِ شَبِيهُ الْعُذْرِ مَقْبُولُ

وقصيدة جمال الدين بن نباته، ومطلعها:
مَا الطَّرْفُ بَعْدَكُمُ بِالنَّوْمِ مَكْحُولُ هَذَا وَكَمْ بَيْنَنَا مِنْ رَبْعِكُمْ مِيلُ

وقصيدة شمس الدين أبو عبد الله الحنفي الزمردي، ومطلعها:
دَعْ قَلْبَهَ فَهْوَ مَشْغُوفٌ وَمَشْغُولُ وَدَمْعَهُ فَهْوَ مَطْلُوبٌ وَمَطْلُولُ

وقصيد عزالدين الموصلي ، ومطلعها:
هَلْ يُبْرِيءُ الصَّبَّ قَبْلَ الْمَوْتِ تَقْبِيلُ فَقَلْبُهُ بِكُؤُوسِ الشَّوْقِ مَعْلُولُ

وقصيدة علاء الدين الدمشقي(ابن أيبك)، ومطلعها:
مَصُونُ دَمْعِي عَلَى الْخَدَّيْنِ مَبْذُولُ وَفِيكُمْ أَنَا مَعْذُورٌ وَمَعْذُولُ

وقصيدة الإمام محيي الدين الفيروز آبادي، ومطلعها:
هَلْ حَبْلُ عَزَّةَ بَعْدَ الْبَيْنِ مَوْصُولُ أَوْ بَارِقُ الْوَصْلِ بَيْنَ الْبَيْنِ مَأْمُولُ

وقصيدة الشيخ القلقلشندي المصري، ومطلعها:
سَيْفُ الْعُيُونِ عَلَى الْعُشَّاقِ مَسْلُولُ وَصَارِمُ اللَّحْظِ مَسْنُونٌ وَمَصْقُولُ

وقصيدة علاء الدين بن مليك الحموي، ومطلعها:
رَأَى الْعَقِيقَ فَأَجْرَى دَمْعَهُ لُولُو مُتَيَّمٌ دَمُهُ بِالْهَجْرِ مَطْلُولُ

وقصيدة الإمام عبد الرحيم البرعي، ومطلعها:
هُمُ الأَحِبَّةُ إِنْ جَارُوا وَإِنْ عَدَلُوا فَلَيْسَ لِي مَعْدِلٌ عَنْهُمْ وَإِنْ عَدَلُوا

وقصيدة ابن سيد الناس اليعمري، ومطلعها:
قَلْبِي بِكُمْ يَا أَهَيْلَ الْحَيِّ مَأْهُولُ وَحَبْلُهُ بِأَمَانِي الْوَصْلِ مَوْصُولُ

وقصيدة أبي حيان التوحيدي الأندلسي، ومطلعها:
لا تَعْـذِلاهُ فَمَـا ذُو الْحُـبِّ مَعْـذُولُ الْعَقْـــلُ مُخْتَبَـــلٌ وَالْقَلْـــبُ مَتْبُـــولُ

أهم ما قيل في تشطيرها وتخميسها:

وقد ذكر مبارك (دون تاريخ، ٢٥) عدداً من الذين شطروا هذه القصيدة على رأسهم عبد القادر سيعد الرافعي، وأول تشطيره:

بانـت سـعاد فقلبـي اليـوم متبـول والنـــوم والســـهد مقطـــوع وموصـــول
والجسم بعد سعاد مدنف وصب متـــيم إثرهـــا لـــم يفـــد مكبـــول

ومـن الـذين ذكـرهم بروكلمـان: علـى أغـا الحليلـي، وعبـد الـرازق الجنـدي، بالإضـافة إلـى الرافعـي واسم تشـطيره: نيـل المـراد فـي تشـطير الهمزيـة وبانـت سـعاد (بروكلمان، دون تاريخ، ج١، ١٦١).

ومن الذين خمسوا هذه القصيدة شعبان بن محمد بن داود المصري، وقد خمسها ثلاث مرات، مطلع أحدها (مبارك، دون تاريخ، ٢٥):

قـل للعـواذل مهمـا شـئتموا قولـوا فلـيس لـي بعـد مـن أهـواه معقـول

ناديـــت يـــوم النـــوى والـــدمع مســـبول

بانـت سـعاد فقلبـي اليـوم متبـول متـــيم إثرهـــا لـــم يفـــد مكبـــول

ومنهم أحمد بن محمد الجرجاوي ، ومطلع تخميسه (مبارك، دون تاريخ، ٢٦):

قلبـي علـى حـب مـن أهـواه مجبـول ونقـــل شـــوقي لـــدى العشـــاق مقبـــول

وقد أحصى بروكلمان ثلاثة عشر شاعراً ممن خمسوا هذه القصيدة من بينهم شعبان والجرجاوي اللذين ذكرهما زكي مبارك، وهم على الترتيب: "محمود النجار، وصدقة الله القاهري، وشعبان بن محمد القرشي، والسكتاني، وشمس الدين البدماصي، ومجهول، وشهاب الدين بن يحيى بن حبش السهروردي، وفخر الدين عثمان بن علي المارديني، وخليل الأشرف نائب الإسكندرية، والواسطي، وأحمد بن محمد الشرقاوي الجرجاوي، وإبراهيم بن محمد الباجوري، وشعبان بن محمد بن أحمد الآثاري" (بروكلمان، دون تاريخ، ج١، ١٦١).

شروحات هذه القصيدة:

لخص مبارك (دون تاريخ، ٢٦) أهم هذه الشروح في قوله: "ومن الذين شرحوها مسعود بن حسن القنائي، واسم شرحه (الإسعاد لحل بانت سعاد) ومحمد صالح السباعي، واسم شرحه (بلوغ المراد على بانت سعاد) وأحمد بن محمد اليمني، واسم شرحه (الجوهر الوقاد في شرح بانت سعاد) وابن هشام الأنصاري، واسم شرحه (شرح قصيدة كعب بن زهير)، وشرحها عطاء الله بن أحمد مرتين، اسم الشرح الأول (حسن السير بقصيدة كعب بن زهير) واسم الثاني (طريق الرشاد إلى تحقيق بانت سعاد) وعلى بن سلطان الهروي، واسم شرحه (فتح باب الإسعاد في شرح بانت سعاد) ومحمد حسن المرصفي، واسم شرحه (القول المراد من بانت سعاد) وجمال الدين السيوطي، واسم شرحه (كنه المراد في شرح بانت سعاد)".

وقد بلغت هذه الشروح عند بروكلمان (دون تاريخ، ج١، ١٥٦- ١٦٠) خمس وثلاثون شرحاً، وقد نوه إلى الأماكن التي توجد بها هذه الشروح، وإلى اللغات التي كتبت بها.

إذاً فالأثر الواضح لهذه القصيدة يظهر في جملة ما كتب في شرحها وتخميسها وتشطيرها (مبارك، دون تاريخ، ٢٨)، هذا ومما لا شك فيه أن هذه القصيدة قد شغلت الشراح في الشرق والغرب، وترجمت إلى لغات متعددة كاللاتينية، والألمانية، والفرنسية، والإيطالية، والإنجليزية، الهندية، والهولندية، والفارسية، والتركية وغيرها (بروكلمان، دون تاريخ، ١٥٦- ١٦٢).

خاتمة:

وتحتوي على النتائج والتوصيات:

أولاً: النتائج:

١. أهم سمات القسم الغزلي، أن الشاعر يصطنع العاطفة اصطناعاً، وهو لا يعاني تجربة حقيقة، إنما يجري على التقليد القديم في افتتاح القصائد، وأن الشاعر يكثر من التصوير الحسي ومراكمة الأوصاف، وضرب الأمثال والحكم والتشبيهات.
٢. أهم سمات القسم الوصفي، أن الشاعر يكثر من استخدام الألفاظ الغريبة والصور المادية والتشبيهات الحسية.
٣. وأهم سمات القسم المدحي، أن الشاعر يستخدم الألفاظ الرقيقة ويتجنب الألفاظ الغريبة إلا ما كان في وصف الأسد؛ لأن الشاعر في مقام استعطاف ولين.
٤. النفس الجاهلي وروح التقليد يطغى على القصيدة على الرغم من إلقائها بعد فتح مكة في حضرة النبي صلى الله عليه وسلم وفي مسجده.
٥. ابتداء القصيدة بالغزل وانشادها داخل المسجد، ما يؤكد على اباحته في هذه الأماكن المقدسة، وفيه كذلك ما يؤكد على عدم تحرج السلف الصالح من سماع مثل هذا الكلام.

٦. العاطفة الدينية لهذه القصيدة لم تكن بالصورة المطلوبة - لأن شاعرها لما يسلم بعد - مما جعل بعض النقاد يخرجون هذه القصيدة من جملة المديح النبوي.
٧. أظهرت الدراسة عناية الشاعر بالتنسيق ووحدة القصيدة وتسلسلها الفكري.
٨. كشفت الدراسة عن عناية الشاعر بدقة الوصف وبراعة التصوير.
٩. بيّنت الدراسة قدرة الشاعر الفنية في استخدام النواحي البيانية في شعره استخداماً رائعاً.
١٠. خلع بردة الرسول على كعب بن زهير لم يكن بسبب استحسان الرسول لقصيدته وصفحه عنه فحسب، بل في ذلك ما يرمز إلى تكريم وتشجيع الشعر الإسلامي الملتزم الذي يدافع عن الحق وينصر الإسلام.
١١. كما أن الدراسة أوضحت الأثر الكبير لهذه القصيدة في مختلف العصور الأدبية.

ثانياً: التوصيات:

١. الاهتمام بهذه القصيدة خاصة وبشعر المديح النبوي عامة لما في هذا النوع من الشعر من الروعة والجمال، والفوائد اللغوية والبلاغية، وترقية الحس الديني والذوقي والأخلاقي، وتنمية الثقافة الدينية عن طريق الدرس اللغوي؛ لارتباط مثل هذا النوع من الشعر بالسيرة النبوية المطهرة.
٢. إعطاء شعر المديح النبوي المكانة اللائقة به خاصة في المناهج الدراسية أسوة بغيره من أنواع الشعر الأخرى.

المراجع:

١- ابن إسحاق، محمد بن إسحاق بن يسار. (٢٠٠٤). السيرة النبوية لابن إسحاق. تحقيق: أحمد فريد المزيدي. بيروت: دار الكتب العلمية، بيروت.
٢- ابن حجر، أحمد بن على العسقلاني. (١٩٩٢). الإصابة في تمييز الصحابة. تحقيق: علي محمد البجاوي. ط١. بيروت: دار الجيل.
٣- ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم. (١٩٨٠). الشعروالشعراء. ط٤. بيروت: دار الثقافة.
٤- ابن قدامة، أبو محمد عبد الله بن أحمد. (١٩٨٤). المغني. بيروت: دار الفكر.
٥- ابن هشام، أبو محمد جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله. (١٩٨٤). شرح قصيدة كعب بن زهير. تحقيق: د. محمود حسن أبو ناجي. ط٤. بيروت: مؤسسة علوم القرآن.
٦- ابن هشام، محمد بن عبد الملك. (دون تاريخ) سيرة النبي صلى الله عليه وسلم. تحقيق: د. محمد خليل هراس. القاهرة: مكتبة الجمهورية.
٧- أبو زيد القرشي، محمد بن الخطاب. (٢٠٠٢). جمهرة أشعار العرب، لأبي زيد القرشي. تحقيق: أ. علي فاعور. ط٣. بيروت: دار الكتب العلمية.
٨- الأخطل، غياث بن غوث. (١٩٩٤). ديوان الأخطل. تحقيق: مهدي محمد ناصر الدين. بيروت: دار الكتب العلمية، بيروت.
٩- الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد. (١٩١٦). الأغاني. القاهرة: مطبعة التقدم.
١٠- الأعشى، ميمون بن قيس. (١٩٩٤). ديوان الأعشى الكبير. تحقيق: د. محمد أحمد قاسم. بيروت: المكتب الإسلامي.
١١- بروكلمان، كارل. (دون تاريخ). تاريخ الأدب العربي، بروكلمان. ترجمة الدكتور: الحليم النجار. ط٥. القاهرة: دار المعارف.
١٢- البستاني، بطرس. (١٩٥٣). أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام. ط٦. بيروت: دار صادر.
١٣- الجمحي، محمد بن سلام بن عبد الله بن سالم.(١٩٨٠). طبقات فحول الشعراء. تحقيق: محمود محمد شاكر. جدة: دار المدني.
١٤- حسين، د. طه. (١٩٢٥). حديث الأربعاء. ط١٤. القاهرة: دار المعارف.
١٥- حسين، د. طه. (١٩٣٣). في الأدب الجاهلي. ط٣. القاهرة: مطبعة فاروق.
١٦- الدولت آبادي، شهاب الدين بن عمر الهندي. (١٩٠٦). مصدق الفضل (شرح قصيدة بانت سعاد. ط١. حيدر آباد: مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية.

١٧- الذبياني، الشماخ ابن ضرار. (١٩٦٨). ديوان الشماخ بن ضرار الذبياني. تحقيق: صلاح الدين الهادي، القاهرة: دار المعارف.
١٨- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر.(١٩٥٢). تاريخ الخلفاء. تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد. ط١. القاهرة: مطبعة السعادة.
١٩- الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك. (٢٠٠٠). الوافي بالوفيات. تحقيق: أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفي. ط١. بيروت: دار إحياء التراث العربي.
٢٠- الضبي، أبو العباس المفضل بن محمد (دون تاريخ). المفضليات. تحقيق: أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون. ط٦. القاهرة: دار المعارف.
٢١- الطيب، عبد الله. (١٩٦٠). ديوان أصداء النيل. القاهرة: دار المعارف.
٢٢- العاملي، عدي بن الرقاع. (١٩٩٠). ديوان عدي بن الرقاع العاملي. تحقيق: د. حسن محمد نور الدين. بيروت: دار الكتب العلمية، بيروت.
٢٣- العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل. (١٩٨٩). الصناعتين. تحقيق: د. مفيد قميحة. بيروت: دار الكتب العلمية.
٢٤- عقيل، محسن. (٢٠٠٤). من أروع ما قيل في مديح الرسول. ط١. دار المحجة البيضاء، ودار الرسول الأكرم.
٢٥- الفاخوري، حنا. (١٩٨٦). الجامع في تاريخ الأدب العربي. ط١. بيروت: دار الجيل بيروت.
٢٦- القيرواني، أبو علي الحسن بن رشيق (١٩٨١). العمدة في محاسن الشعر وآدابه. تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد. ط٥. بيروت: دار الجيل، بيروت.
٢٧- مبارك، د. زكي (دون تاريخ). المدائح النبوية. ط١. القاهرة: دار الشعب، القاهرة.
٢٨- الموسوعة الشعرية(CD). (٢٠٠٥). المجمع الثقافي. ط٢، أبو ظبي. الأمارات العربية. المتحدة، وكيل التوزيع في المملكة العربية السعودية العبيكان.
٢٩- النابغة، معوية بن زياد. (٢٠٠٣). ديوان النابغة الذبياني. تحقيق: كرم البستاني. ط٣. بيروت: دار صادر.
٣٠- النبهاني، يوسف بن إسماعيل. (٢٠٠٣). المجموعة النبهانية. بيروت: دار الفكر.